

## فهرس العدد

### دراسات وأبحاث :

- 2 مولود قاسم نایت پلقاسم . الجزائر وابن خلدون ، تأثيرها في حياته ومقدمته . وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للعثمان مبوليت ، الضابط بهيئة اركان الحرب ، الفرنسية بتاريخ شهر مارس 1832 .  
6 د. ناصر الدين سعيدوني . مدينة أرزيو  
14 المهدي البوعبدلي . ميتافيزيقا علم الاجتماع .  
21 د. علي عيسى . وسائل جامعية :

- 27 مملكة سنغاي في عهد الاسييين 1493 - 1591 . د. عبد القادر زبادية .  
36 العرف وأثره على التشريع في الفقه الاسلامي . محمد سعود المعيني .

### من اعلام الجزائر :

- رائد الدعوة الى التضامن الاسلامي عمر بن قدور الجزائري .  
55 د. محمد ناصر . كتب :

- المعهد الذهبي لتجارة المسلمين في شمال افريقيا وغربها .  
65 و. و. بوفيل .  
72 عمر بن خروف . التيسير في احكام التسمير .

### تفسير القرآن :

- قلوب خيم الله عليها ، فلم تسمع نداء ربها . سليمان المدني .  
79 المناق يظهر الايمان ، ويغنى المغادمة والمعيان . سليمان المدني .  
83 مناقشات :

- دور المسجد في بث الوعي والثقافة والمضارة الاسلامية .  
87 احمد حماني .

### من معاضرات الملتقى :

- تأملات حول مستقبل المضارة العربية الاسلامية .  
92 ابراهيم غافه .  
الروح الديني في الاسلام ، مصدره وأثره في السلوك .  
107 د. الحبيب بلخوجة .



## الجزائر وابن خلدون : تأثيرها في حياته ومقدمته

- ضرورة اعادة قراءة ابن خلدون بمنظار جديد ،  
وروح جديدة ، ومنهجية علمية جديدة ، لكن  
في الوقت نفسه أقرب الى عصره .

مولود قاسم نايت بلقاسم  
الوزير لدى رئاسة الجمهورية  
المكلف بالشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم ،

حضرات الاساتذة الافاضل ،

حضرات السادة والسيدات ،

انه لشرف كبير لى أن ألقى هذه الكلمة الموجزة  
لاختتام أعمال ملتقاكم -

فهنكرا لكم على ما تجشمتكم من مشاق السفر لاستجابة  
دعوة الجزائر ، وعلى ما بذلتموه من جهد في التحضير ،  
وعلى ما قمتم به هنا من حضار وتناش لخدمة العلم ،  
بمناسبة الذكرى المائوية السادسة لمقدمة أبى زيد  
ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون ، احد عباقرة هذا  
المغرب ، والعالم الاسلامى بأجمعه ، بل والانسانية كلها .



وان الجزائر التي درجت منذ استعادة استقلالها وسيادتها على الاحتفال بالرجال  
وأثارهم ، من جزائريين ، ومسلمين عامة ، وغيرهم ، من مختلف القارات ، لجدير بها  
أن تتولى كبر (I) الدعوة الى الاحتفال بهذه المقدمة التي جمع كثير من عناصرها على  
أديمها ، وألفت في أرضها ، وكان لها مع مؤلفها ذلك الارتباط الوثيق والصلة الوثيقة .

(\*) كلمة اختتام الملتقى الدولي حول ابن خلدون والذكرى المئوية السادسة لمقدمته الذي عقد في الجزائر العاصمة بتاريخ  
26 رجب 1439هـ / يونيو 2018م .

2 (I) كبر (بالكسر ثم السكون) : مبادرة ومسؤولية في لغة ابن خلدون .



وأخيرا ، وليس آخرها ، عندما مل وكل من كل بيعة وهيعة ، وجد في الجزائر السكن (4) والسكنية ، إذ تزوج من قسطينية زوجته الوحيدة ، حتى مات . وأم أولاده ، وخلا لنفسه للتفكير والروية في بسكرة ، وتفرغ للدرس والعلم ، وعكف على اجراء القلم في قلعة بني سلامة قرب تيهرت ( تيارت ) مع أسرته ، « متفرغا عن الشواغل كلها » ، عاكفا على تدريس علم ، أو قراءة كتاب ، أو إعمال قلم في تدوين أو تأليف ، مدة « أربعة أعوام » ، وشرع في التأليف حتى أخرج لنا هذه « المقدمة على ذلك النحو الغريب الذي اهتمت اليه في تلك الخلوة » .

هذه بعض صلات ابن خلدون بالجزائر ، هذا العالم العبقري الذي كان لكم جميعا شرف الاحتفال بمقدمته ، بتبادل وجهات النظر ، واستخلاص نتائج بحوثكم ، وإعمال فكركم بشأنها .

ولئن اتفقت كلكم في الاشادة بمعيرته وإبتكاره ، وأصالة عمله ، وجدة نحوته ، وسبقه الى انشاء علم هام ، فقد اختلفتم معكم غيركم من غير الموجودين في هذه القاعة حول طبيعة هذا العلم الذي أنشأه ، واسمه ورسمه ، بحسب اختلاف تخصصاتكم واهتماماتكم .

فلقد كنا درسنا وسمعنا حتى اليوم ان العلم الذي أنشأه ابن خلدون هو « علم الاجتماع ، قبل أوغست كومت ، ومدرسة دور كايم ، ومن سبقهما ، وباصرهما ، ولحقهما ، وأنه فعل ذلك كله أحسن منهم جميعا ، بل هو أول منشئ علم الاجتماع بحق ، وإن علم الاجتماع اليوم لم يزد شيئا على ما قرره ابن خلدون » ، كما يرى استاذنا الدكتور علي عبد الواحد وأفي .

كما سمعنا أو قرأنا آخرين يقولون ان العلم الذي أنشأه ابن خلدون ليس علم الاجتماع ، السوسيولوجيا ، وإنما علم الاجناس ، الانتولوجيا ، أو علم الانسان ...  
الانثروبولوجيا ، كما يرى صديقنا الدكتور عبد العزيز الحبابي ، فيما نذكر (5) .  
وها نحن اليوم نسمع أو نقرأ لبعض الاساتذة الحاضرين في ملتقاكم الموقر هذا ان ابن خلدون مهد في الواقع لانشاء علم الايديولوجيات أو المذهبيات السياسية ، البوليتولوجيا Science des idéologies أو Politologie ، كما يرى

(4) بمعنى الزوجة والمعنى العام .

(5) أنظر كتاب الملتقى السادس للفكر الاسلامي - الجزائر .



## وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت الضابط بهيئة أركان الحرب الفرنسية بتاريخ شهر مارس 1832

د. فاضل الدين سعيدوني  
معهد العلوم الاجتماعية  
جامعة الجزائر

لا يعرف عن صاحب هذا الوصف الا انه كان من الضباط المنتسبين لهيئة أركان الحرب الفرنسية العاملة بالجزائر ، والمتحمسين لشن هجوم على قسنطينة قصد الاستيلاء عليها ، وهذا ما نستدل عليه من سياق هذا الوصف الذي يحمل امضاء هذا الضابط ، بتاريخ شهر مارس 1832 .



وقد اورد هذا الوصف مع وثائق هيئة أركان الحرب الفرنسية العاملة بالجزائر بأرشفيف وزارة الحرب بفانسان - باريس - ضمن المعلقة التي تحمل رقم 245 .  
أما مضمون هذا الوصف فانه يمس النقاط التالية :

- 1 - مدخل في ست صفحات ، يتناول الامكانيات العسكرية والاساليب التكتيكية لباي قسنطينة ( الحاج أحمد باي 1826 - 1837 ) ، مع ذكر بعض الشروط التي يجب أن يتوفر عليها الجيش الفرنسي المهاجم كالعتاد واللباس وغيره ( ص 1 - 6 ) .
- 2 - صفحة واحدة خصصت للوصف الطبيعي العام لاقليم قسنطينة ( ص 7 ) .
- 3 - سبع صفحات أخرى ، تتعلق بالمواصلات والطرق المزمع انشاؤها ، بعد اخضاع قسنطينة ( ص 8 - 14 ) .



أما موقعها فهو على شكل مدرج يرتفع في الشمال الغربي عند سفوح جبل المنصورة الذي يفصله عنها انهدام متعرج تسلكه مياه وادي الرمال ، هذا الوادي الذي يرقده واد بو مرزوق الآتي من الجهة الشرقية ، في المكان المعروف بدار الاقواس (الحنايا القديمة) ويبلغ طول وادي بو مرزوق ما بين 7 الى 8 فراسخ (3) .

والى الشمال الشرقي لمدينة قسنطينة ينتصب جبل المنصورة في اتجاه جنوبي شرقي الى شمالي غربي ، وهذه الجبال مع أنها جرداء من الاشجار الا أنه يمكن استغلال أرضها في الزراعة حتى أنه يمكن مقارنتها من حيث الخصب بأراضي برج الرياح المقابلة لقسنطينة .

ويقوم في أعلى هضبة المنصورة تنوءان . احدهما شرقي يشرف على المدينة على بعد مرمى مدقع منها يتوجه ضريحان من اضرحة المرابطين يعرقسان عادة بسيدي المبروك . أما التنوء الثاني الواقع في الشمال الغربي لهضبة المنصورة فيحمل اسم ضريح سيدي مسيد ، ومن هاذين التنوءين يمكن أيضا قبلة قسنطينة .

والى الشمال الغربي من مدينة قسنطينة وعلى ألف متر من الاسوار التي تحيط بها توجد مرتفعات كدية عاتي ، وتطل على الجانب الآخر للمدينة حيث تتناثر عليها بعض القبور .

أما شكل قسنطينة فهو اهليلجي ذو سطح مسق يرتكز في أساسه على الانحناء الالتوائي الكبير المتجه نحو الجنوب الغربي في خط يكاد يكون مستقيما ، وعلى مسافة يقدر طولها بخمسمائة متر من خط هذا الانحناء الكبير ، وضمن سور قديم يعلو ثلاثين مترا ، توجد ثلاثة أبواب؛ الباب الغربي الذي يوجد وسط هذا الخط المستقيم يعرف بالباب الجديد ، وتنتهي اليه طريق الجزائر ، والباب الأوسط يعرف بباب الواد ويؤدي الى الجنوب ، ويمكن ان يؤدي الى طريق الجزائر عند مسلك متفرع منه ، بينما الباب الثالث ويدعى باب الجابية فيتصل بوادي الرمال . وبين هذه الابواب الثلاثة تنتصب بطاريات المدافع المجهزة بأربعين مدفعا لتتصدى لكل قوة معادية تريد الاقتراب من المدينة .

وعلى منحدر كدية عاتي المواجهة للمدينة ، وأمام الابواب الثلاثة توجد ضاحية قليلة الاتساع يسكنها الصناع ، وتقام فيها الاسواق ، وعلى بعد منها اسطبلات الباي





أما وادي الرمال الذي يأخذ منيعه على مسافة خمسة أيام سيرا من قسنطينة فيمكن اجتيازه طيلة فصول السنة كلها ، ولا يتعذر عبوره الا في فترات نزول الامطار الغزيرة اذ يبلغ ارتفاع مياهه حينئذ أربعة أقدام ، في حين لا يزيد عمقه عادة عن قدم او قدمين فقط . وعلى حافة وادي الرمال اليسرى عند مشارف مدينة قسنطينة ، توجد سهول زراعية يحف بها جبل المنصورة من الجهة اليسرى . هذا ويشكل وادي الرمال عند بلونه باب الجابية شلالاً من المياه ، يشرف على تجويف أرضى تنحدر اليه مياه الوادي لتظهر بعد ذلك من جديد وسط الخندق العميق ،

الذي هو عبارة عن خندق Fossé هائل يهاذي امتداد أسوار المدينة حتى حصن القصبية ، وهو بذلك يلف باكثر من نصف المدينة ، على أن عمقه لا يزيد عن خمسين مترا وعرضه لا يتجاوز تسعين مترا ما بين بابي الجابية والقنطرة على أنه يزداد في الاتساع بعد ذلك عندما يقترب من حصن القصبية . وهناك شلال آخر يعترض وادي الرمال عند مخرجه من الخائق في أسفل المدينة تعلوه بعض مطاحن الحبوب وتنتشر عند حافته اليسرى البساتين ، بينما الحافة اليمنى يشرف عليها جبل المنصورة .

وفي أعلى الصخور المقامة عليها المدينة يقوم حصن القصبية (5) ، ومنها يشرف على الباب الجديد وباب القنطرة . أما باقي الصخور فيقل ارتفاعها ما بين بابي القنطرة والجابية حيث ينمو نبات الصبار ويصبح من الممكن اجتيازها . وكذلك الصخور الواقعة ما بين بابي الجابية والواد . فهي قليلة الارتفاع ، وهي تعلوها الاسوار الحاجزة Rempart المزودة ببطاريات المدافع . ومع هذا فيمكن الوصول الى المدينة صعودا على الانقاض والنفايات التي تلتقي من أعلى الاسوار بجوار سيدي ميمون .

= وهكذا يتضح لنا من خلال هذه العملية الحربية مدى الخطر الذي يمثلته احتلال سطح المنصورة على مدينة قسنطينة ، اذ من المؤكد أن تصبح قسنطينة تحت رحمة الطلقات الاولى للمدافع التي تنصب فوق سطح المنصورة ، ولهذا أرى أن أفضل هجوم قد يشنه الجيش الفرنسي على قسنطينة ، هو الذي يعتمد على إقامة جهاز هجومي فوق جبل المنصورة (هيبوليت) .

(5) تتفد بعض أحكام الاعداد في المجرمين بالقائم من أعلى حصن القصبية نحو أعماق الوادي السحيقة ، أما بقية أحكام الاعداد الاخرى فكانت تنفذ عادة عند باب الرادي - (هيبوليت)



ولقسنطينة ساحات عمومية عديدة ، لا يجدر ذكرها لضيق مساحتها باستثناء ساحة واحدة فقط تقع بالقرب من باب القنطرة ، أما الشوارع فهي ضيقة ومتعرجة . والمساجد جميلة ومزينة بالرخام الجيد ، والثكنات كبيرة ، والأسواق رحبة ، والمخازن ضخمة تحفظ بها الضرائب العينية . ورغم أن خزينة الباي وتروات سكان المدينة يفترض أنها ضئيلة ، إلا أنها تقبهم شر الكوارث التي تدبر ضدهم ، وهناك قصر الباي الواقع وسط المدينة الذي تتوسطه شجرة السرو الضخمة التي هي بمثابة سارية للعلم . وهو يتميز بقرميده الأخضر وببيوته الكبيرة المتصلة ببعضها .

وعلى كل فإن مدينة قسنطينة أقل امتدادا من الجزائر ، رغم أنها تكبر مدينة المديه بثلاث مرات .

ومما يذكر أن منابع المياه بقسنطينة منعدمة ، إذ لا يوجد داخلها إلا قليل من صهاريج المياه ، ولهذا يتزود السكان بالماء من الوادي الذي يمكن الوصول اليه خارج أسوار بساب الجابية بواسطة ممر . على أن هناك المجارى والعيون متوفرة فى الجهات القريبة من قسنطينة .

كما أنه من الراجح أن الاقوات من الحبوب وكثير من الاصواف والزيت مع كميات من التين متوفرة بقسنطينة رغم أنه لا يوجد داخل الاسوار مطاحن للقمح لان العديد منها يقع على ضفة وادي الرمال عند خروجه من قسنطينة ، أما ما يخص حطب التسخين ، ولا سيما خشب البناء فهو نادر جدا ، وهذا ما جعل السكان يستعملون الفحم فى أغراضهم .

أما ما يخص العتاد فإن الباي أحمد لم يعد يتلقى ما يحتاجه من البارود من الداي بعد الاستيلاء على الجزائر . ولهذا أصبح يصنعه فى مدينة قسنطينة من ملح البارود المتوفر بالمعاور القريبة من المدينة .

على أن المسافرين يرون أن الباي أحمد ليس له من الامكانيات ما يمكنه من صنع الاسلحة ، وإن كان فى استطاعته اصلاحها والمحافظة عليها .

امضاء هيبوليت

قبطان بهيئة اركان الحرب

مارس 1832



## مدينة أرزيو

المهدي البوعيدلي

بحاجة في التاريخ ، ومكلف  
بمهمة لدى وزارة الشؤون  
الدينية

عرفها أبو عبيد عبد الله ابن عبد العزيز البكري في كتابه « المسالك والممالك » الذي ألفه حوالي سنة 400 هـ 1007 م . فقال « قلعة هواة ويسمونها تسقذالت وهي قلعة في جبل لها ثمار ومزارع وتحت هذه القلعة يجري نهر (1) سيرات وهو النهر الذي يسقي به فحس سيرات ، وطول الفحص نحو أربعين ميلا . ليس منه شيء إلا يناله ماء هذا النهر إلا أنه اليوم غامر غير عامر ، ولأن أهل لان الخوف أجلى أهله وفي ساحل هذا الفحص مدينة أرزاو ، وهي مدينة رومية خالية ، فيها آثار عظيمة للاول باقية ، يحار من دخل فيها لكثرة عجائبها ، ويقرب مدينة أرزاو جبل كبير ، فيه قلاع ثلاث مسورة رباط يقصد اليه ، وفي هذا الجبل معدن للحديد والزئبق ... الى أن يقول ... وبين مدينة أرزاو هذه ووهران أربعون ميلا » اه كلام البكري .



كما عرفها الادريسي في كتابه : « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي ألفه حوالي سنة 548 هـ ، الموافق لسنة 1154 م . فقال « ومن طرف مشانة الى مرسى أرزاو 18 ميلا ، وهي قرية كبيرة تجلب اليها الحنطة فيسير بها التجار ويحملونها الى كثير من البلاد » .

(1) وهو المعروف بوادي المقطع حيث وقعت معركة الامير عبد القادر المشهورة مع الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال تريزيل .



دفين مقبرة القرية القديمة ( أي قبل الاحتلال الفرنسي ) كان حيا في اواخر القرن الحادى عشر الهجرى حيث وجدنا بعض الكتب نسخها بخطه سنة 1085 هـ وكثير من سكان القرية من سلالته ، كما أخبرنى الاستاذ الباحثة محمد العايد الفاسى محافظ مكتبة القرويين ان احد علماء بطيوة الجزائرية له تأليف يشمل جزءين على طريقة احياء علوم الدين للغزالى وله فهرس ذكر فيه بعض اشياخه منهم ابن مريم المليشى التلمسانى صاحب « البستان فى ذكر العلماء والاولياء بتلمسان » وهو من علماء أوائل القرن الحادى عشر فتاريخ نزوح سكان القرية يظهرانه ، كان بعد استيلاء الاسبان على مليلية وسبتة ، بقي اتصال القرية الجزائرية بقبيلة بنى سعيد بريف المغرب متواصلا طيلة هذه القرون الاربعة ، وقد كانت للقرية أهمية فى العهد التركى حيث اتخذت قاعدة لولى عهد باي وهران ، وبني فيها الاتراك مسجدا جامعا - لا زال الى وقتنا هذا - وكانت بها محكمة رئيسية للقاضى وكان من قضائتها المتأخرين السيد أبو العباس أحمد بن الطاهر ، ذكره القاضى محمود ابن حواء فى مجموع الفقه مسلم بن عبد القادر الحميرى كاتب بايات وهران توجد منه مخطوطة بالمكتبة الوطنية ( يخط محمد ابن حواء المذكور نسخ سنة 1237 هـ ) \* بالجزائر تحت رقم 893 جمع فيه محمود ابن حواء بعض القصائد لسلم بن عبد القادر المذكور وسماه « نظم الجواهر فى سلك البصائر » وعندما ذكر بعض القصائد للمؤلف المذكور وتعرض للحديث عنه شرحها قال « ومنهم الفاضل الجليل الجامع بين كل تعظيم وتبجيل ذى المكارم والمفاخر أبى العباس أحمد بن الطاهر وهو الذى شرح العينية ( العينية فى الغزل المتقاربة فى الاصداف الدرية ) وقال فى موضع آخر ( « وقد شرحها - أي العينية المذكورة - بعض العلماء وهو الاديب أبو العباس أحمد ابن الطاهر قاضى أرزيو سنة 1237 هـ » ) والقاضى أحمد بن الطاهر هذا هو الذى أخذ عنه الامير عبد القادر فى شبابه بارزيو ان كان الامير على عادة طلبة ذلك العهد يسافر جلهم لقراءة القرآن أو العلوم بالنواحي البعيدة عن اهلهم وكان طلبة تلك النواحي يسافرون لطلب العلم وحفظ القرآن الى ناحية الغرابية - بين سيق وارزيو - وارزيو ، بقيت هذه العادة سارية المفعول الى زماننا هذا ، رغم اندثار جل المعاهد التى كان يحفظ فيها القرآن ويدرس العلم ، كما كانت عادة سكان غريس - الى وقت قريب فى الخمسينات - الانتقال الى ناحية الغرابية

(3) مسلم بن عبد القادر الحميرى الزائرى كان دقتر دار بايات وهران وكان معاصروه يصفونه بالمؤرخ الاكبر ، توفي سنة 1294 هـ \*





الى زماننا هذا ، اما سكان البلديتين فلا زالوا يطلقون اسم ارزيو على قرية بطوية واسم المرسى على ارزيو الحالية (5) كان لم يقع اي تغيير .

كان لسكان بطوية صلة مع اقاربهم بالمغرب والهجرة بين البلدين لم تنقطع ، وقد حافظ الكثير منهم على اراضيهم ومساكنهم ومصاهراتهم ، وان معظم سكان القرية هنا يتحدثون بالبربرية خصوصا الكبار منهم الى يومنا هذا ، كما احتفظوا على عوائدهم في الولائم والعادات والتقاليد ، وقد تعرض لتحليل سكان هذه القرية البطويين كثير من كبار الكتاب الفرنسيين المعتمدين بالدراسات البربرية ، منهم س- بيارناي S. Biarnay في تأليفه : « دراسة لهجة بطوية سكان ارزيو القديم » ( طبع جوردان الجزائر 1911 ) وبربريقيج Berbrugger في كتابه « الآثار بارزيو القديمة » بالمجلة الافريقية الجزء الخامس والسابع ثم احدثت في الثلاثينات من القرن الجارى المسمى ادارة خاصة للتتقيب على الآثار في نفس المكان وكانت على رأسها الكاتبة الروسية الشهيرة في ميدان الآثار الرومانية والفنية مالمو موريس قانسان Malva Maurice-Vincent وقد بدأت نتيجة عملها ينشر سلسلة مقالات في المجلة الافريقية سنة 1935 ، وقد احدثت الكاتبة بمساعدة زوجها الطيب الفرنسي بوهران موريس قانسان Maurice Vincent متحفا بنفس القرية وقد كان يتردد عليها كبار الكتاب وعلماء الآثار الجامعيين من الفرنسيين والاجانب ، وبقي عملها مستمرا الى ان استقلت البلاد ، وبقوا بها ما يقرب من سنة ، ثم تكلفت بالحل ادارة الآثار بالجزائر هذه فقرات تتعلق بتاريخ هذه القرية ذكرناها بايجاز .

ولنرجع الى الحديث عن الخلاف الذى طرأ في النطق بها ، فان الجغرافيين القدامى كالبكري والادريسي نطقا بها ارزاو بفتح الزاي وسكون الواو ، اما بقية الكتاب المسلمين فكانوا ينطقون بها ارزيو بكسر الزاي وسكون الواو ومنهم المؤرخ أبو رأس الناصري ( 1165 - 1237 هـ ) فقد ذكرها في معرض حديثه عن مصير اللاجئين الاندلسيين الذين لجأوا الى الجزائر بعد كارثة سنة 1018 هـ ، ونزلوا بمرسى ارزيو ، كما ذكرها الامير عبد القادر في معاهدته مع دو ميشال المؤرخة في فيفري 1834 ، فقد اتفق في هذه المعاهدة ان تكون مرسى ارزيو هي مقر الصادرات والواردات من الحبوب

(5) ذكر بعض المؤرخين الفرنسيين ان السكان كانوا يطلقون على ارزيو الاثرية « ارزيو اسلم » تمييزا لها عن ارزيو الحديثة التي كان معظم سكانها أوروبيين .



فأختار طريق الانسحاب الى مدينة أرزيو ، وجعل طريقه على وادى المقطع فكانت الكارثة التي خسر فيها تريزيل كل عتاده وتحو 300 قتيل ووقع الهلع فى الباقي ففروا عراء هشة الى أرزيو والامير وراءهم الى ان وصل بهم الى أبواب المدينة ، وقد اتفق جل مؤرخى هذه الواقعة ان الامير لو اراد لدخل البلدة ولاستسلم تريزيل وبقية جنده ان لما وصلوا منهزمين ارسلوا الى وهران ليعثوا لهم باخرة ينتقلون عليها ورفضوا الذهاب مشاة والمسافة قصيرة - ولتجنب الفضيحة ارسل اليهم رائد مشهور ليقنعهم فى صالح سمعة فيالقهم ، اما الجنرال تريزيل فلم يسعه الا الاعتراف بخطيئته ويغلطاته وهزيمته \*

مذه صفحات من هذه الناحية التي شاعت لها الاقدار ان تصبح بين عشية وضحاها مركزا لمنطقة صناعية عالمية ، وكل ما تنتظره ، هو ان لا يتسرع بعض الجهلة الى انشاء اسماء لبعض القرى لا صلة لها بالواقع التاريخى كالمقرية القريبة من هذه المنطقة التي اطلقوا عليها اسم مرسى الحجاج ، وكان الفرنسيون يطلقون عليها اسم مرسى الدجاج Port-aux-Poules - وهي بين وادى المقطع ويطوية كانت من المصايف المشهورة - وبعد الاستقلال ارتجى بعض المسؤولين المحليين اسم الحجاج بدلا من الدجاج الا انه لم يقف عند اختياره اسما جديدا لم يمهّد من قبل ، بل اراد ان يظهر معلومات جديدة فى اللغة ، فلما كانت الكلمة باللغة الفرنسية يزداد فى آخرها سين للدلالة على الجمع ، فزيد نفس الحرف - اي سين - فى آخر الكلمة العربية لنفس الدلالة اذ صيغة الجمع غير كاشية فاصبحت : « مرسى الحجاجس » وقد كتبت باحرف غليظة فى مدخل القرية ورغم انها مكتوبة بالفرنسية وبالعربية الا ان سين آخر الحجاج حير قراء العربية اما قراء الفرنسية فانهم لم يجدوا فى الكلمة ما يحيرهم



بأن نبين وجهة نظر علم الاجتماع الحديث التي ترفض فكرة المدارس وتصر بحق على ان المدارس تصلح للفلسفة ولا تصلح لعلم الاجتماع المتغير في نظرياته واكتشافاته تبعا لتغير المجتمعات والتوسع في الدراسات الميدانية . وتؤكد في نفس الوقت ان تفسير الظاهرة الاجتماعية قد تتطلب نظريات عديدة من التي تنسب الى اكثر من مدرسة من هذه المدارس ( ومنها المدرسة البيئية والمدرسة البيولوجية والمدرسة النفسية وغيرها ) .

وتكمن خطورة فكرة المدرسة في علم الاجتماع الى انها تنطوى على تعصب ومذهبية ولا يعرف العلم مثل هذه الاتجاهات الضارة بتقدمه . ان المدرسة التي اتعرض لها الآن هي مدرسة علم الاجتماع الفيزيائي *Ecole physico sociale* التي تتجاوز الفيزياء الى ما بعدها - والتي كانت ان تظفر بالمكان الاول بين سائر مدارس هذا العلم في القارة الاوروبية لولا ان تقدم الدراسات الاجتماعية الميدانية او الحقلية في بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية حال دون نجاحها .

لقد شاهد الربع الاخير من القرن التاسع عشر صراعا عنيفا بين المفكرين في بريطانيا والقارة الاوروبية حول السعي للحصول على الاولوية او المكان المتميز في علم الاجتماع . ففي هذه المرحلة نادى تايلر في بريطانيا بأن الظاهرة الثقافية او الحضارية تختلف عن الظاهرة الحيوية التي نولد بها من حيث انها خارجة عن كياننا ويفرضها المجتمع علينا . وذهب دوركايم في فرنسا الى انها شيء خارج عنا وموضوعي . وأصر ، كتليه البلجيكي على ان يسمى علم الاجتماع ، علم الطبيعة الاجتماعية او الفيزياء الاجتماعية واللف بهذا العنوان كتابا ضخما كما اللف في موضوع ( النسق او النظام الاجتماعي والقوانين الطبيعية التي تحكمه ) ثم وضع كتابا عنوانه : الانثروبولوجيا المترية او قياس القدرات المختلفة للانسان . وفي كتابه علم الفيزياء الاجتماعية يقرر بناء على احصاءات دقيقة جمعها من المجتمع البلجيكي ان الناس في مجتمعه ليسوا احرارا في ان يتزوجوا في اي شهر يجيبهم ولا ان يولدوا أو يموتوا كما يشاءون . هذا ما استخلصه من دراسته ، ويقرر ان الاحداث الانسانية لا تختلف عن الاحداث في الطبيعة الجوية . فكما ان للامطار موسما وللزول الثلوج موسما ولهبوب الرياح مواسم فكذا لميلاد الانسان وزواجه وامراضه ووفاته مواسم لا تخطئ . واذا كان الضغط الجوي ظاهرة طبيعية فان الضغط الاجتماعي ظاهرة طبيعية كذلك . كلنا نحسها حينما تشدد علينا التقاليد وتضغط بكل كلكتها



كوتيا شاملا لكل ما فى الكون • ومن هنا بدأ علم الاجتماع يدخل الميتافيزيقا التى لا مركب لنا فيها ولا شراع ...

وإذا كان المجتمع قائما فى الطبيعة وجزءا منه • هكذا مضى التساؤل - أقلا يمكن أن يخضع الى نفس القوانين ؟ وفى هذه الحالة يكون الانسان ذرة فى المجتمع أو كائنا ميكانيكا - وقد تخلى العلماء عن التطرف فى هذه الفكرة على أساس ان الانسان يمتاز عن الآلة بأنه حر • وقصروا التطبيق على المجتمع من حيث هو كذلك وليس من حيث كونه مجموعة أفراد • واعتبروا الظواهر الاجتماعية ليست بالضرورة انسانية وانما هي ظواهر تشير مشكلات تتعلق بتحولات المادة • وفى هذا الاتجاه وضع فرونوف كتابه : أساسيات علم الاجتماع سنة 1909 ووضع هاريت مؤلفه عن الميكانيكا الاجتماعية سنة 1910 كما أخرج باريسيلو بحثه الموسوم : محاولة لتأيد الميكانيكا الاجتماعية سنة 1925 - ومعنى ذلك كله ان الاتجاه الفيزيائى فى تفسير الظواهر الاجتماعية استمر حتى الربع الاول من القرن العشرين ولم تساعده ميتافيزيقته على الصمود أمام الدراسات العقلية أو العملية •

ويجدر بنا أن نشير الى فرع من المدرسة الاجتماعية الفيزيائية اهتم علماءه بما سموه طاقة الاجتماعية وثارة أخرى التفاعل الكيميائى • ويلخص هذا الاتجاه العالم أرنست سولفى سنة 1902 بقوله : لا يوجد فى عالم الاحياء ولا فى عالم الجمادات أية ظاهرة خالية من كمية معينة من الطاقة قابلة للقياس • ويذهب الى أن أول مظاهر الطاقة تبدو فى حالات التاكسد • وهذا التاكسد كما يراه هو السبب الاول للحياة • وكل المشاكل الانسانية يمكن ارجاعها الى رغبة الانسان الملحة فى البحث عن أفضل الوسائل للتاكسد • وفى رايه أيضا ان الانسان يتغذى أو يقيم مسكنا له أو يغطى جسمه بالملابس استجابة للرغبة فى التاكسد ... والمقصود بالتاكسد ليس التفاعل مع الأكسجين بالمعنى الاصطلاحي فى علم الكيمياء ولكن ما يرمز اليه التاكسد عنده هو التفاعل مع مادة أخرى وتحولات الى مواد جديدة • فالإغذاء تفاعل مع الطعام يحول الانسان الى شخص صحيح الجسم قادر على العمل • وبناء المسكن الخاص يشعر بالتملك ويحفز على العمل وارتداء ملابس معينة يعطى احساسا طبقيًا أو مهنيًا أو حرفيًا يجعل الانسان شيئا آخر • ويفسر الزواج أيضا بنفس الكيفية •

ولقد حاول علماء الاجتماع الفيزيائى الخروج من نطاق الفلسفة عينا رغم بعض محاولات فردية كانت تظهر من وقت لآخر لجعله علما تجريبيا بمعنى الكلمة مثل





والتقلبات الطبيعية والجوية . ومع فشل هذه المحاولات التي أخذت آخر الامر طابعا ميتافيزيقيا يتجه علماء القارة الاوروبية الى عدم التخلي عن الفكرة نهائيا واعادة الموضوع برمته الى حظيرة الفلسفة باسم الميتاسوسولوجيا او ميتافيزيقا علم الاجتماع ليضم الى الميتافيزيقا او ما بعد الطبيعة واخصاص هذين العلمين الفلسفيين معا الى مبدا كونى واحد .

### مطبوعات وزارة الشؤون الدينية

سيصدر قريبا كتاب :

الملتقى الثامن للفكر الاسلامى بالفرنسية  
فى ثلاثة أجزاء

كما سيصدر قريبا كتاب :

الملتقى التاسع للفكر الاسلامى بالعربية  
فى اربعة أجزاء

انتظروا

عدد الاصالاة الخاص بمنطقة الاوراس ، بمناسبة انعقاد  
الملتقى الثانى عشر للفكر الاسلامى بها .



التاريخية ذاتها ، فذهب الكثيرون من كتابهم الى التركيز على أن العرب بصورة عامة والمغاربة من بينهم بشكل خاص ، لم يكونوا الا تجارا للعبيد ومستقلين لشعوب السودان الغربي . وكما هي العادة في كل بلد يصير ماله الى التحكم المباشر له من طرف الأجانب ، فقد نشأت طبقة من بين السودانيين انفسهم تدعو الى ما يدعو اليه غلاة الاستعمار من اعتبار حقبة الحضارة الاسلامية بالسودان الغربي فترة عارضة ، أما الاساس الذي يجب أن يعتنى به ، فهو عهد البدايات السابق للإسلام وأعمال (التحضر) التي أدجلها المستعمرون منذ نهاية القرن التاسع عشر . وهذا هو اساس فكرة الزنجية التي تدعو اليها ، وتعمل على تعميقها وإكسائها ثوبا فلسفيا بعض الفئات السودانية المتخرجة من المدارس الفرنسية ، ومن ورائهم جمع كبير من فلاسفة ومفكري الاستعمار الغربي في عالم اليوم . والهدف واضح من وراء عمل الطرفين ، وهو يتلخص في طمس الدور الهام للمسلمين والحضارة الاسلامية بالمنطقة . ولما استردت الجزائر شخصيتها وملكت مصيرها بنفسها ، كان من واجب الباحثين الجزائريين والمغاربة بصورة عامة أن يلقوا الاضواء على الدور الجليل للحضارة العربية والمغاربة منذ القديم في ربط الاتصال مع جيرانهم في جنوب الصحراء والتعامل معهم لما فيه فائدة الجميع .

وقد كان من أبرز آثار الحضارة العربية في السودان الغربي ، هو مساعدة السكان على تخطي الشكل القبلي القديم ، وتأسيس ممالك لها صيغة وطنية ، وكانت اماراة سنغاي التي تأسست منذ القرن الثامن للميلاد ، من أهم الامارات التي ظهرت في غرب السودان ، وقد قضي لها في القرن السادس عشر أن تصبح امبراطورية كبيرة ضمت تحت لوائها معظم شعوب غرب السودان ، وقد مثل عهدها هذا أوج ازدهار الحضارة الاسلامية في الغرب الافريقي . وقد كان هذا هو الموضوع الذي اخترته لهذا البحث . وتعود بداية اهتمامي بالبحث في تاريخ افريقيا الى وقت تخرجي من جامعة بغداد سنة 1961 . أما الجوافز فمصدرها عدة اعتبارات ، يمثل الاعتبار الاول منها في أن هناك حركة دائية حاليا في مختلف الجامعات العالمية ، لتقصي التاريخ الافريقي واستجلائه ، ولحل في هذا ما يجعل مساهمة الاوساط الجامعية لدينا على درجة كبيرة من الاهمية ، خاصة وأن جامعة الجزائر توجد على ارض افريقية لا يبضل شعبها بشيء في سبيل خدمة شعوب القارة الافريقية والمساهمة في نهضتها . ومن هنا فإن انشاء كرسي للدراسات الافريقية في جامعتنا أمر تتطلبه المعطيات التاريخية



والثابت أن الجانب السياسي الذي يعنى بحياة العترة الملكية فى سنغاي ، سواء فى عهد الاسقيين أو قبلهم ، قد طرقت معظمه ، أما من طرف المؤرخين القدماء أو الحديثين . أما الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، التى تبين وضعية سكان المملكة ككل ، فلم تطرق من طرف المؤرخين الحديثين إلا لما ، ولكن الاشارات اليها ، لا تعوز الباحث أن هو دقق النظر فى مختلف المؤلفات القديمة وأحاط بها ، وهذه الجوانب المغفلة هي التى اعتنى بها بحثى الحالى ، وسعى الى استجلائها وتجسيماها . وان كنت لا أعد هذا الاجزا من مهمة كل الباحثين ، فانى لا أريد أن أغفل ذكر الصعوبة التى اقتضاها منى استنطاق النصوص ، والاشارات ومقارنتها وتحليلها .

والواقع ان الأبحاث فى موضوع التاريخ الافريقى قد تكاثرت منذ بداية الخمسينات من هذا القرن ، ولكننى فى معظمها لم تقف تعنى بـ (المصوميات) ان صح التعبير ، ولم تكد تتجاوزها الى الأبحاث الجزئية المتخصصة الا فى النادر اليسير ، وفى معظم الحالات التى ظهرت فيها بعض الأبحاث من هذا النوع الأخير ، انما غلبت عليها النزعة الى سد الحاجة التى اقتضاها ظهور الدول المستقلة فى افريقيا خلال السنوات الأخيرة ، ومن ثم فقد جاءت المؤلفات فى هذه الناحية ذات صبغة وطنية وعملية أكثر منها أكاديمية صرفة ، واعتمدت على الحكايات الشعبية والمصادر الغير مؤكدة أكثر من اعتمادها على الحقائق لذاتها .

وهناك قسم آخر منها كتبه أشخاص ربما كان مهم البحث لذاته ، ولكنهم فى الواقع ، كثيرا ما تهكمت فى توجيههم مآرب أو مبادئ سياسية معينة ، فجاءت أبحاثهم فى حالات عديدة ، لا تقنع الباحث النزيه ، ولا يستطيع أن يتفائل عما يلاحظه عليها من المآخذ (2) .

ان البحث فى صيغته الحالية ربما يكون الاول فى موضوعه ، وقد انطلقت فيه من اعتبار أن الأبحاث العامة فى التاريخ الافريقى ، قد توفرت بشكل أصبح فى الامكان معه القيام بالأبحاث الجزئية المتخصصة فى عدة نواحى منه ، وموضوع أيام الاسيقيين

(2) من أوضح الامثلة فى هذا الميدان ، كتاب تاريخ افريقيا لبييركورنوفان فيها رغم من أن الكتاب اطروحة جامعية ، الا أن المؤلف يعتمد طمس معالم الحضارة العربية ودورها فى افريقيا ، كما يعمد الى التشويه ، وافتعال عصور (مسيحية) فى افريقيا جنوب الصحراء ومجتمعات متأثرة باوروبا ، وهذا كله قبل القرن 16 .



فى المنطقة على أساس استغلالى فقد تاكد لى أن هذا الزعم لا يمثل الحقيقة بكل جوانبها (3) •

ومن ناحية أخرى فقد حاولت توسيع مضمون البحث حتى يعطى صورة شبيهة متكاملة عن المملكة فى عهد الاسيقيين من جوانب عديدة ، وعلى هذا الأساس أدرجت فيه موضوعات يمكن أن تعتبر مبدئياً من مشمولات الجغرافيا البشرية مثل الزراعة والصناعة والحيوانات الموجودة آنذاك ، وطريقة الاستفادة فيها وأثر تلك الاستفادة فى حياة السكان • ولكنى بحثت هذه الجوانب من ناحية اتصالها بحياة السكان ونشاطهم ، فلم تعد نائية عن مشمولات التاريخ فى البحث ، وإنما أصبحت جزءاً هاماً منها •

وقد أعطيت للجوانب الحضارية والاقتصادية فى البحث الأهمية التى أوليتها للجوانب السياسية ، وتطلب منى هذا أن أسلك فى الكتابة أسلوباً تحليلياً ، حاولت فيه أن لا أقتصر على مجرد الوقوف عند حدود سرد الوقائع التاريخية ، وإنما سمعت الى العمل على تحليلها وتعليل دوافعها ونتائجها بقدر الامكان •

وقد حاولت أن أكتب عن شرائح السكان ، كما كتبت على الرؤساء والأمراء ، وما ذلك الا لاعتقادى بأن الطريقة القديمة فى التاريخ ، قد أهمل أصحابها الجوانب الأكثر أهمية فى التاريخ ، وما أهملوه هو ما يبين وضعية السكان على كل مستوياتهم • وعلى هذا الأساس تضمن البحث صوراً عن تقاليد الحياة الاجتماعية ومعيشة السكان ككل ، فيما يخص الملبس ومستوى المعيشة والسكن ، كما جسم صوراً عن حياتهم اليومية وطرق التعامل فيما بينهم • وقد صادفتنى فى سبيل تضمين هذه الافكار فى البحث صعوبات عديدة ، لأن المصادر الأساسية كانت تعنى بحياة الرؤساء وسيرهم ، دون أن تأبه لغيرهم الا فى اليسير النادر ، ولكن الباحث رغم ذلك يستطيع أن يصل الى بعض النتائج الهامة اذا جمع الى استكناه اشارات المؤرخين القدماء توسيع مجال المقارنة وتتبع مدلول الوثائق الفقهية وغيرها • وقد أفادتنى هذه الطريقة فى الاهتمام الى بعض ما أغفل المؤرخون الاستفادة منه كما يجب ، مثل الاسئلة التى كان قد

(3) من أبرز السائرين فى هذا الاتجاه دعاة الزنجية Négritude ويترعهم فى ميدان التاريخ حالياً المؤرخ السنغالى انتاديوب ، ومن أبرز مؤلفاته l'Afrique Noire Précoloniale ويتجمع حوله مجموعة من الباحثين فى هذا الاتجاه ، منهم نسبة هامة من الفرنسيين ، كانوا يعملون ضمن معهد IFAN للدراسات التاريخية فى السنغال •





وقد وجدت أن السكان بعد انتشار مبادئ الاسلام بينهم وأخذهم بها بقوا محافظين على جانب هام من تقاليدهم القديمة ، وأبرز ما يتمثل لنا ذلك في موضوع الفنون ، وكذلك تقاليد الجيش فبالرغم من أن جيش سنغاي كان أكبر جيش في المنطقة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، إلا أن أساليبه في التعبئة والتسلح ظلت عتيقة حتى القضاء على المملكة ، في سنة 1591 (6) \*

ولقد كانت ظروف الحياة التي ربما حتمتها طبيعة الاقليم في أغلب نواحي البلاد ، قد جعلت مناطق الاستقرار الكبرى حول النيجر وروافده ، أو عند ملتقى القوافل التجارية ، هي التي قام سكانها بنصيب أوفر في المبادرات الحضارية ، وهذا ما حاولت أن أبرز صورة عنه في الفصل الذي خصصته للحديث عن مراكز الحضارة \*

وقد وجدت لدى بعض المؤرخين انحرافا عن الواقع أحيانا ، ولعل أبرز ما يظهر لنا ذلك الانحراف في ربط طراز الهندسة المعمارية في السودان الغربي بأوروبا (7) ، وفي هذا ما يتفنى عن سكان المنطقة كل طابع للاتصال ، كما أن فيه ما يخالف الحقيقة المتمثلة في أن التأثير الأول في هذا الجانب ، قد كان مبعثه بلاد النوبة قبل غيرها ، ثم تلاه التأثير الذي أنبعث من بلدان المغرب ومصر \*

وفي جميع فصول البحث حاولت أن أنتهي إلى استنتاجات تجسم اقتناعي بما وصلت إليه في موضوع كل منها \*

ثم أنهيت البحث بخاتمة عامة أبرزت فيها الاتجاهات التي سار عليها بعض المؤرخين الذين اشتهروا بكتاباتهم في موضوع تاريخ افريقيا الغربية ، والأفكار التي جاءوا بها في موضوع سنغاي بالذات ، ثم ضمنتها أخيرا النتائج التي توصلت إليها في موضوع البحث ككل \*

وعلى العموم فقد حاولت الاحاطة بتطور المملكة ونظمها في الفترة بين 1493 و 1591 ، ما أمكنني وهذا بعد أن خصصت فصلا في البداية أوجزت فيه أهم الوقائع عن تطور المنطقة قبل 1493 وذلك حتى يكون مضمون البحث واضحة معالمه السابقة للدراس ، ورغم هذا كله ، فإنه لا يمكن القول بأن كل شيء عن سنغاي في عهد الاسيقيين قد احتواه البحث حتى في خصوص المواضيع التي تطرقت إليها \* وإنما يمكن القول

(6) من الثابت أن جيش مملكة البورنو كان قد اقتنتى الاسلحة النارية ، في حين لم يفعل ذلك جيش سنغاي ، وهذا ما سهل على حملة المنصور مهمتها \*

(7) من أبرز من ساروا في هذا الاتجاه المجانب للحقيقة المؤرخون المنتسبون بفكرة الزنجية وفي مقدمتهم Anta Diop



# العرف وأثره على التشريع في الفقه الاسلامي

محمد سعود المعيني

معيد اللغة والآداب العربي  
جامعة قسنطينة

## مقدمة :

ان المصادر التي تستقى منها الاحكام الفقهية ، ترجع الى ما جاء عن طريق الوحي اصلا او تبعا ، فالقرآن من عند الله بلفظه ومعناه ، والسنة هي اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن حكم الله تعالى ، لانه لا ينطق عن الهوى ، والاجماع يرجع تبعا الى ذينك المصدرين ، فلايد له من سند شرعى من القرآن والسنة \*  
وما عدا ذلك مجرد امارات ترشد العقل الى استنباط الحكم الشرعى \*



وبناء على ذلك تخزن المصادر كالاتى :

1 - المصادر الاصلية ، وهي :

I - القرآن الكريم : وهو الكتاب المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، لفظا ومعنى ، المكتوب في الصحف ، المنقول اليها متواترا ، باللسان العربى \*



وقول الصحابي لا يلزم صحابيا آخر • أما بالنسبة لغيرهم ، فهو اذا لم يعارض كان حجة ملزمة • اما اذا كان مختلفا فيه ، فلا يترك ، وانما يتخير فيه ، ويقدم على القياس •

4 - العرف : وهو الموضوع الذي سأتكلم عنه بالتفصيل في موضعه •

3 - المصائر التبعية العقلية ، وهي :

1 - القياس : وهو الحاق امر لا نص فيه ولا اجماع ، بأمر منصوص على حكمه ، أو مجمع عليه لاشتراكهما في نفس العلة التي شرع الحكم من أجلها ، فالمراد من القياس هو اظهار الحكم ، لا انشاء الحكم والقياس مرجعه الكتاب والسنة ، وما هو الا الغرض في أحكامهما •

2 - الاستحسان : وهو العدول عن قياس وضعت علة الى قياس خفيت علة ، أو الى دليل آخر •

أو عدول المجتهد عن حكم كلي ، الى حكم استثنائي لدليل رجح لديه هذا العدول ، وقد يكون الاستحسان مستندا الى نص أو اجماع ، أو عرف ، أو مصلحة •

2 - المصلحة المرسلة : وهي جلب المنفعة ، ودفع الضرر ويشترط فيها أن تكون حقيقة عامة ، وأن لا تتعارض مع نص شرعي ثابت •

4 - سد الذرائع : والذرائع هي الوسائل التي تؤدي الى الحرام • فإذا كانت الوسيلة مفضية الى ما هو محرم حتما ، كانت محرمة منعا لمنايع الفساد •

3 - الاستصحاب : وهو عبارة عن ابقاء الحكم الثابت في الماضي على ما كان عليه واعتباره موجودا مستمرا الى أن يوجد غيره أو يرفعه ، وهو آخر مدار الفتوى . وهذه الدلالة لا تنشئ حكما جديدا ، بل تكشف عن الحكم الشرعي •

## العرف

تعريفه :

العرف في اللغة ضد النكر • يقال أولاه عسرها ، أي معروفا ، والعرف أيضا : الاسم من الاعتراف ، وقد يطلق على عرف الغرس (1) ، وهو الشعر على محدب رقبة الفرس •

(1) مختار الصحاح مادة عرف •



قالعادة جنس أعم ، تشمل العادات الشخصية الفردية كزيارة المريض مثلا ، أو التمرين الرياضى بعد النهوض من النوم مبكرا . وقد تكون العادة مشتركة ، إلا أنها لم تبلغ حد التعارف للعمل بها . ومثال ذلك خروج القاضى من محله الى بيت أهل الزوجة ، لاجراء تسجيل العقد بعد دفع الرسوم المطلوبة .

وقد تكون العادة قهرية تشمل جميع الناس ، إلا أنها ليست عرفا لخلوها عن عنصرين مكونين للعرف ، هما العقل ، والاختيار ، وذلك مثل البلوغ على اختلاف البيئات والحيض ، وغير ذلك مما لا يدخل تحت تفكر الانسان واختياره .

وقد تكون العادة عرفا ، وهو ما نتكلم عنه .

فالعرف اذا هو ما تعارفه جمهور قوم ، من قول أو فعل ، أو ترك . ومعنى هذا أنه متفكر به مع الاختيار ثم الفته الطباع السليمة .

### العرف والاجماع

من تعريف العرف يتضح أنه يخالف الاجماع لفئة واصطلاحا وموضوعا . فالاجماع فى اللغة العزم . وفى الاصطلاح : هو اتفاق مجتهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فى عصر من العصور على أمر شرعى دينى ، ولا عبرة بما تعارفه جمهور الناس .

أما العرف ، وهو ما تعارفه جمهور قوم . . . . . دون النظر الى أنه حكم للشارع ، وهذه هي نقطة افتراقه عن الاجماع والتقاءه مع المصلحة التى حملت اليه .

ومن ذلك نفهم أن موضوع العرف هو الظاهرة الاجتماعية .

### تقسيمات العرف

للعرف تقسيمات مختلفة بالنظر لاعتبارات مختلفة ، وهي كالآتى :

١ - يقسم العرف باعتبار مشروعيته الى صحيح ، وفاسد : العرف الصحيح .

وهو ما تعارفه الناس ، ولم يدل دليل من الشارع على فساده وبطلانه ، ولم يعارض نصا صريحا بكل وجوهه . ومن ذلك البيع بالتعاطى ، وتقسيم المهر الى معجل ومؤجل ، وقبض المعجل قبل الدخول . فقد تعارفه الناس وأجروا جل فتاواه على مقتضى العرف فى هذه المسائل .





### المعرف الخاص :

وهو ما كان مخصوصا ببلد دون آخر ، أو بأرياب مهنة دون أخرى \*  
ولكل قوم أن يصطلحوا على ما شاءوا من غير ما هو محرم \* وذلك كتعارف أهل  
اللغة على كلمة ( الرقع ) \* والنقاد على كلمة ( النقد ) \* ومن ذلك ما تعارفه أهل  
العراق من جعل المهر المعجل أقل من المهر المؤجل ، وتعارف أهل مصر من جعل المهر  
المعجل أقل من المهر المؤجل ، وتعارف أهل مصر من جعل المقدم من المهر ضعف  
المؤخر (IX) \*

ومثل هذا يثبت به الحكم الخاص ، ما لم يخالف القياس أو الاثر ، ولا يصلح  
لتخصيص العام (IX) \*

ففي عرف التجار أن ما ينقص الثمن يعتبر عيبا ، وكذلك اضافة أجور النقل  
وبعض الخدمات الى رأس المال \* قال الكاساني : ولا بأس بأن يلحق برأس المال أجرة  
الفتال والصباغ والغسال والخياط والسمار وسائق الغنم والكراء ونفقة الرقيق ، من  
طعام وكسوتهم ، وما لا يدلهم منه بالمعروف وعلف الدواب ، وبياع مرابحة وتولية على  
الكل اعتبارا بالمعرف (IX) \*

وفي عرف المحامين قبض بعض الأجرة قبل المرافعة \* وغير ذلك من الاعراف  
الخاصة \*

وهذه الاعراف تلقى ضوءا ساطعا على ما كتب ومضت عليه السنين من صكوك  
ومعاملات \*

2 - ويقسم باعتبار نوعه الى قولى ، وعملى :

### المعرف القولى :

وهو ما تعارفه الناس فى بعض الفاظهم وذلك كان تكون بعض الالفاظ قد وضعت  
لمعنى عام ، ثم خصصت عرفا الى بعض مسمياتها مثل لفظة ( دابة ) فقد وضعت لكل  
ما يبد على الارض ، ثم خصصت عرفا بذات الاربع ، وأحيانا يصير الاسم شائعا فى  
غير ما وضع له أولا ، بل فيما هو مجاز فيه مثل لفظة « مقازة » للصحره ، وقد سميت

(IX) أصول الفقه ، المتولى ص 160

(IX) رسائل ابن عابدين ص 47

(IX) بدائع الصنائع ج 5 ، ص 332 \*



وقد نصت المادة (41) من مجلة الاحكام العدلية على ذلك بقولها « تعتبر العادة اذا اطردت او غلبت » وتكون الغلبة بانتقال الاسم من طائفة الى اخرى حتى يستفيظ ويتعدى الى غيرها ، فيشيع في الكل على طول الزمان (17) .

اما اذا لم تكن العادة غالبية فلا يمكن اعتبارها عرفا صالحا لبناء الحكم .  
ومن هذا يتضح أن العادات الخاصة والمشاركة والقهرية ، ليست من العرف .  
2 - أن يكون العرف المراد تحكيمه في التصرفات موجودا ، وقائما عند انشائها ليصح حمله عليه .

قال ابن نجيم : العرف الذي تحمل عليه الالفاظ انما هو المقارن السابق دون المتأخر لذا قالوا لا عبرة بالعرف الطارئ (18) .

فلو باع انسان عقارا قبل عشر سنوات بعمله ( الليرة ) مثلا ، ثم تبدلت هذه الليرة بغيرها ، ولم يشر الصك على نوع من انواع الليرات ، فالعبر هو الليرة المتداولة ، وقت العقد ، ولا عبرة بالعرف الطارئ .

2 - عدم معارضته للنص الشرعي من كل وجه ، والذي يلزم بالاخذ به ، ابطال النص ، لان ذلك يعتبر نسخا للحكام الظاهرة المستقرة الثابتة ، وبما ان النسخ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم باطل فهو باطل ، وحكم الشرع باق على أصله ، وان تغير عرف الناس .

فكل عرف يعارض النص فهو فاسد لا ننظر اليه مهما كانت درجة الاعتقاد عليه ، وذلك كالربا وكشف العورة وغيرها . اما اذا كان العرف شائعا ولا نص يعارضه فهو معتبر اذا حقق مصلحة او دفع مفسدة ، وكان مبناه العقل .

اما اذا عارض النص من وجه ، فهو التخصيص ، فاذا كان النص عاما خصص بالعرف .

3 - أن لا يعارضه نص بخلافه في العقد ، حيث كل ما يثبت بالعرف اذا صرح المتعاقدان بخلافه بما يوافق مقصود العقد ويمكن الوفاء به صح . فلو اشترط العراقي جعل جميع الهز معجلا جاز له ذلك ولو خالف العرف ، فاذا ذكر الشرط في العقد

(17) الاشياء والنظائر لابن نجيم ح 1 ، ص 122 ، المعتمد في اصول الفقه للبصري

ص 201

(18) الاشياء والنظائر ح 1 ، ص 122 ، راجع الفقه في ثوبه الجديد ص 51



المتاجرات ، والمشاركات الصحيحة عندهم ، كالمضاربة والبيع والاجارات الخالية من المفاسد ، من ذلك جواز بيع السلم لجريان عرف المدينة به ، والاستصناع ، ومبدأ جعل الدية على العاقلة ، بالرغم لمخالفتها للقياس ، حيث بيع المردوم محرم ، ولا يعاقب انسان بفعل غيره \*

فاذا كان العرف صحيحا محققا مصلحة غير جالب مفسدة ، فهو صالح لبناء الحكم عليه ، على اعتباره كشف عن الحكم الشرعي المعتبر \* وقد نصت المادة (27) من مجلة الاحكام العدلية على أن « استعمال الناس حجة يجب العمل بها » \* على أن العرف لا يثبت حكما بنفسه ، وانما هو المرشد الى الحكم \* وهذا الحكم قد تشترك في مكوناته عدة أمور كالاتمسكان والمصلحة المرسله ، والعقل ، ولكنه يجب أن يعود الى دليل معتبر \*

2 - تخصيص العام وتقييد المطلق : الالفاظ التي خاطبنا الشارع بها ، منها ما هو عام ، أو مطلق غير مقيد \* والعرف مصدر مهم لتشخيص المعنى المراد ، والمتبادر فهمه من اللفظ ، وقد ذكره الفقهاء في معرض معرفة الدلول \* وقد اتفق جمهور الاصوليين على أنه يخصص العام ويقيّد المطلق ، لان الشارع انما يخاطب الناس بما تعارفوه من الاطلاقات \* لذا قالوا : الالفاظ محمولة على مقتضاها (20) \* فكل لفظ ورد الينا من جهة الشارع فاننا نحمله على عرفه ، أو على اللغة أو عرفها \* لذا قالوا : العادة والعرف العملى مخصص (21) \*

والحقيقة أن تخصيص النص الشرعي ، أو تقييده بالعرف ، انما هو بيان واستعانة على معرفة مقصود الشارع ، وليس تعديلا طارئاً عليه \* فقوله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » (22) \* لم يبين مقدار النفقة ، وانما المرجح في ذلك الى العرف \* ومن ذلك قوله تعالى : « واشهدوا ذوي عدل منكم » (23) وما يخل بالعدالة مرجعه الى العرف ، وذلك مثل كشف الراس ، كان مخلا بالعدالة ، وقد ترد شهادة مكشوف الراس ، فتجديد العدالة يعود للعرف ، فمثلا كل الناس في زماننا قد تعارفوا كشف الراس ، فلا يعتبر مخلا بعادة الانسان \* ثم أن حقيقة اللفظ

(20) رسائل ابن عابدين ص 27

(21) التقرير والتحرير ج 2 ، ص 28

(22) البقرة آية 322

(23) سورة الطلاق 2



### حجية العرف

الفقهاء امام العرف اصناف ، فمنهم من الغى اعتباره ، ومنهم من اعتبروه ، والذين اعتبروه يختلفون تصنيفا وتوسيعا \*

والقائلون بحجية العرف يستدلون بالآية الكريمة « **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ** » (25) فظاهر الآية يدل على اعتبار الشارع للعرف ، فإذا تعارف الناس أمرا حسنا فهو حجة ملزمة ، وكلمة ( العرف ) يفهم منها هنا ، ما يجب اتباعه من قبل الشارع على اعتباره أمرا حسنا اشتهر وتعارفه الناس ، وليس كل ما تعارفه الناس حسنا ، حيث لفت الشريعة كثيرا من الاعراف الفاسدة \*

واحتجوا كذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » (26) \* فالحديث يدل على حجية ما تعارفه المسلمون وساروا عليه بدون تكبير (27) \*

وقد ضعف الاستدلال بهذا الحديث من ناحيتين \*

الاولى : انه موقوف على ابن مسعود حيث قال « ان الله نظر في قلوب العباد فاختر جمعا صلى الله عليه وسلم ، فبعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد فاختر له اصحابا ، فجعلهم انصار دينه ووراء نبيه مما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح » \*

والثانية : على فرض صحة الحديث فانه يدل على حجية الاجماع لا العرف ، لان المقصود بتمييز الحسن والقبح ما صدر عن ذوى الكفاءة والنظر ، وهم مجتهدو الامة ، ولا عبرة بنظر غيرهم \* وهذا ما يؤيده الواقع العملي ، فمثلا تعارف الناس على ايواء المجرم والدفاع عنه ، اذا كان من الاقارب \* وتعارف عامتنا مدينتا وأخلاقا تتنافى مع اصول العقيدة دون أن يشعروا بهذا التناقض \*

اما المانعون للعرف ، فدليلهم هو عدم اعتبار الشارع له ، فمسأله ظنية ، لا يصح ابتناء الاحكام عليها ، فهم يرون أن امضاء الشارع لبعض الاحكام العرفية ، انما هو امضاء قام على أحكام عرفية خاصة لا على أصل العرف (28) \*

(25) الاعراف 199

(26) انظر المقاصد الحسنة للسخاوي ص 267

(27) راجع الفروق للقرافي ج 1 ص 140 ، بدائع الصنائع ج 5 ص 372 ، المبسوط

ج 12 ص 128

(28) الاصول العامة ص 432





الاباحة كما فى قوله تعالى : « كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود » (30) \*

والآية تفيد كلا المعنيين فى الظاهر ، ونحن على الخير فى ذلك بايهما اخذنا حكمتا فى العرف ، بمقتضى تلك الدلالة . فان قلنا أن الامر يفيد الوجوب ، اخذنا بالعرف على الوجوب ، وقضينا به بشرط عدم وجود نص أصلا . أو عدم تعارضه مع نص صريح بكل وجوهه . وإن قلنا أن الامر يفيد الاباحة، اخذنا به على سبيل الاختيار . والظاهر فيما يبدو لنا من دلالة الآية على الكون الامر للوجوب ظاهرا ، ومن قيام آثار وشواهد كثيرة على الاخذ بالعرف ، أن نأخذ به كدليل واجب يلزم الحكم به وجوبا . وما دام هكذا يمكن القول بأن العرف معتبر فى الشرع وصالح لبناء الاحكام عليه اذا توفرت شروطه .

### طبيعة الخلاف

إذا عدنا قليلا الى معنى العرف ، نرى أنه منبثق عن الفكر والاختيار ، يتبين بوضوح اشتباك دليل العقل مع المصلحة كعناصر مكونة للعرف المعتبر ، لذا قد يستغنى عنه من اعتبر دليل العقل ، أو المصلحة ، أو الاستصحاب فى التوصل الى الحكم الشرعى ، هذا لم تتأثر الاحكام العملية المترتبة عليه ، ونستطيع أن نحصر الخلاف فى الشكل والتسمية فقط \*

تفسير الاحكام بتغير العرف \*

ان الاحكام التى تتغير بتغير الزمان هي الاحكام المستندة على العرف والعادة ، لانه بتغير الزمان تتغير احتياجات الناس ، وبناء على هذا التغيير يتبدل العرف ، ويتغيره تغيير الاحكام ، بخلاف الاحكام المستندة على الادلة الشرعية الثابتة ، كالقرآن والسنة ، فانها لا تتغير ، فمثلا جزاء القاتل العمد هو القتل ، فهذا لا يتغير (31) . وقد نصت المادة (29) من مجلة الاحكام العدلية بقولها « لا ينكر تغير الاحكام بتغير الزمان » . وقال القرافي « ان الاحكام المترتبة على العوائد تدور معها كيفما دارت ، وتبطل معها اذا بطلت كالنقود فى المعاملات ، فلو تغيرت السكة الى سكة اخرى ، فالمعتبر فيها السكة التى تجددت العادة بها » (32) \*

(30) البقرة 187

(31) أنظر شرح المجلة ج 1 ص 42

(32) الفروق للقرافي ج 1 ص 55

285 ص 2 (33) القضاة القضائي (35)  
 157 ص 6 (34) القضاة (35)  
 296 ص 1 (35) القضاة (35)

١٥٧١ (35) (35) ١٥٧١

ويعتبر من المستعجلين على الخروج من البلاد ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١

١٥٧١ (35) (35) ١٥٧١

ويعتبر من المستعجلين على الخروج من البلاد ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١

١٥٧١ (35) (35) ١٥٧١

ويعتبر من المستعجلين على الخروج من البلاد ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١

١٥٧١ (35) (35) ١٥٧١

١٥٧١ (35) (35) ١٥٧١

ويعتبر من المستعجلين على الخروج من البلاد ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١

١٥٧١ (35) (35) ١٥٧١

ويعتبر من المستعجلين على الخروج من البلاد ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١  
 أما ما يتعلق بالقضاة القضائي (35) ١٥٧١ ، فهو ، القضاة القضائي (35) ١٥٧١

١٥٧١ (35) (35) ١٥٧١

١٥٧١ (35) (35) ١٥٧١

١٥٧١ (35) (35) ١٥٧١

### العرف بين الفقه والقانون :

يحتل العرف مصدرا مهما بين مصادر القانون الرسمية ، وقد اعتبر مصدرا قائما بذاته لثبوت الاحكام ، فالمصادر الرسمية للقانون هي : التشريع ، والعرف ، والقانون الطبيعي ، وقواعد العدالة ، وأحيانا الدين .

فأعراف الناس متطورة ينظر الاعتبار ، بغض النظر عن مشروعيتها .

اما بالنسبة للشرعية الاسلامية ، فالعرف لا يستقل بنفسه لثبوت الحكم ، وإنما يفتر الى من يقوم من الأدلة الأخرى . فصلاحيته للآثبات ، لا للثبوت ، الا اذا رجع الى دليل معتبر \* فهو مقيد \*

ولعل ذلك يرجع الى طبيعة كل من الدراستين ، فالقانون من صنع المجتمع ، فهو متأخر عن تطوره وطبيعة تفكيره ، لأن الانسان قد يعتاد الامر فإذا فشا وتعارفه الناس فأصبح ظاهرة اجتماعية التفت المشرع الى هذه الظاهرة ، وذلك لأن القانون لا يمكنه التغيير بسرعة تغير تفكير المجتمع وتطوره . وعليه فالجماعة هي التي تضع القانون وتكونه بعاداتها وأعرافها وتقاليدها وتاريخها (36) ، لأن هذه الامور ذات اثر فعال في نفس المشرع لا يمكنه تجاهلها بأي حال من الاحوال ، بل تدخل في كيفية صياغة القانون .

وما دام القانون متأخرا عن المجتمع فلا غرابة اذا حصل التناقض بين ما وصل اليه الانسان ، وما هو مدون . بل يجب أن يحصل هذا التفاعل ، لأن تفكير الانسان في مجتمعه ، هو المنبع الذي يغذى القانون على طول الزمن .

فلا يمكن أن يوصف القانون بالثبات والاستقرار ، كما لا يمكن وصفه بصفة التجرد ، لأن سنه جاء تلبية لميل الانسان في تنظيم حياته ، فلا مانع من دخول هذه الميول من قبل جماعة من الناس في مواده دون أن يشعر المشرع بضررها على الآخرين أو حرمانهم مما هم أهل له .

كذلك لا يمكن وصفه بالتقدمية ، لانه متأخر عن الفكر الانساني ، وحين تسن الظاهرة الاجتماعية وتضاغ على شكل مادة قانونية ، يكون التفكير الانساني قد اتخذ شكلا آخر في التصور .

---

(36) راجع التشريع الجنائي عودة ح I ص 31



قال مصطفى الزرقاء : وهذه الاجتهادات تكاد تكون متفقة على أن الحكم بالقياس يترك بالعرف ، ولو كان عرفاً حادثاً (37) ، ومنهم من جعله مخصصاً للعام ، ومقيدا للمطلق فقط .

وخلاصة القول ، أنهم يتفقون على اعتبار العرف لتشخيص الاحكام الجزئية معنوية كانت أم لغوية أو فقهية .

كما يتفق الجميع على عدم جعله مصدرا قائما بذاته ، أما الخلاف فقد وقع في مسألة التماس المستند والاعتبار الشرعى له .

وبناء على ذلك أصبح العرف من أسباب اختلاف الفقهاء في الاحكام ، فقد ذكر غير واحد من الفقهاء الخلافات الناجمة عن الاعراف ، واختلاف الزمان ، وذكروا الامثلة الكثيرة مما عدوه خلافا قد يوهم أنه في جوهر الحكم . فقد يفتى عالم بقضية في بلد ويفتى بخلافها في بلد آخر كما فعل الشافعى في مصر .

ولقد منع الإمام أبو حنيفة استئجار معلم القرآن ، وإباحه الصاحبان ( محمد وأبو يوسف ) الى غير ذلك من المسائل الكثيرة ولو نظرنا الى ظروف كل مسألة ومالها من صلة بالحكم مع روح التشريع الاسلامى ، لما وجدناه خلافا في حقيقة الحكم .

خاتمة :

تقدم أن العرف دليل له حجيته نظراً لرجوعه الى أدلة الشرع الأخرى ، وعليه لا ينبغي التنكر له لأن إخراج العرف من مجال أدلة الاستنباط تضيق لتلك الدائرة بلا موجب ، ولا حرج بالآخذ به .

والعرف دليل كاشف عن الحكم الشرعى وليس بمنشئ له ويكون باستكمال شروطه واستناده الى دليل شرعى معتبر .



تعايش الوطنيين ، وهم يدافعون عن أرضهم عقيدة راسخة بانهم يدافعون أيضا عن  
حماية الاسلام ، وان انتصارهم على عدوهم الدخيل انتصار للامة الاسلامية  
جمعاء ، ولولا ذلك الاحساس الشريف لما تتابع الشهداء الى ميدان الشرف  
افواجا ٠٠٠ وان المجاهد منهم لتخرج كلمة ، الله اكبر ، من فمه مدوية لتعانق  
الرصاصة المنطلقة من فوهة البندقية ٠

ولقد ادرك بعض المؤرخين الفرنسيين أنفسهم ، بان المسلمين الجزائريين كانوا  
يحاربون هرنسا ، دائما ، بوحى من هذا الشعور الدينى ، وان عداوتهم المستحكمة  
للاستعمار الفرنسى يقف وراءها انتمائهم الى الوطن الاسلامى العريض (١) ٠

وتحزن عندما تدرس أفكار الذين كتبوا فى الصحافة من المسلمين الجزائريين نجد  
عندهم هذا الشعور المتوقد وهذا الاعتقاد الراسخ بالانتماء الى الوطن الاسلامى ،  
ونراهم ينظرون الى كل الاحداث التى كان يمر بها هذا الوطن فى محنة القاسية من  
هذه الزاوية ، وذلك الاعتقاد ، وهذه النظرة يدلان دلالة قاطعة على ان ارتباطهم  
باخوانهم المسلمين ، وتعلقهم بالتضامن معهم لم يستبدل عندهم قط: بأي شعور قومى  
آخر ، وسيستمر هذا الميل قويا عندهم حتى سنة 1930 على الاقل ٠

وعلى الرغم من الحصار الجديدى الذى ضربته الاستعمار الفرنسى حول الجزائريين  
بغية عزلهم عن بقية العالم الاسلامى فانه لم يقلح قط فى هذه المحاولة ، بل لم يبرد  
بذلك الضغط احساساتهم بالانتماء الى العالم الاسلامى الا تعلقا وشوقا ، واذا بالافئدة  
التي حاول الصليبيون تحويلها الى العالم الغربى ، تولى وجهها شطر المشرق العربى ،  
وتفتحت لكل نفحة أمل تهب عليها من اخوانها المسلمين : من الجريدة أو المجلة ، حتى  
الخليفة أو الزعيم ٠ فوجد ذلك الكبت الذى مارسه السلطات الاستعمارية منذ  
السنوات الاولى للاحتلال ضد الاهالى ، وجد له متنفسا فى الشعر الشعبى ، والهجرة  
الى المشرق ، والمشاركة فى الجمعيات السرية الاسلامية (2) ، كما قفل الامير عبد  
القادر اذ كان عضوا فى جمعية العروة الوثقى التى انشأها جمال الدين الافغانى  
بالمهند عام ( 1882 م ) (3) ٠

(١) انظر أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية ص 182

(2) انظر الحركة الوطنية ص 397

(3) انور الجندى الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا ص 39





وتطبع هذه الاحداث جميعها أفكار كتاب المقالة الصحفية الجزائرية بطابعها الخاص .  
وتترك في أساليبهم الكتابية صفات فنية ملحوظة ، ولكن الكاتب الذي اخلص لفكرة  
التضامن الاسلامي الاخلاص كله ، وسخر لها صحافته وقلمه منذ وقت مبكر جدا هو  
عمر بن قنور الجزائري \*

### عمر بن قنور الجزائري والدعوة الى التضامن الاسلامي :

ان الحديث عن « القومية الاسلامية » او الدعوة الى التضامن الاسلامي \*  
« أو الجامعة » الاسلامية ، لم يظهر على صفحات الجرائد العربية الجزائرية ،  
الامع ظهور الصحافة الوطنية ، وكان ذلك على يد كاتب بارز هو « عمر بن قنور  
الجزائري » صاحب « الفاروق » ولم يكن منتظرا بطبيعة الحال ان تعنى صحافة  
استعمارية ، أو ورقات كان يشرف عليها فرنسيون أو مستشرقون بهذا الموضوع الحيوي  
الذي يخالف مبادئها \* كما ان الكتابة حول هذا الموضوع من طرف الجزائريين قد  
يكون من قبيل المجازفة ، فان الدعوة الى مثل هذه الروابط الروحية في مفهوم الاستعمار  
الفرنسي تحريض على التمرد والانفصال وتطاول على نفوذ فرنسا وهيمنتها على  
الشعب الجزائري ، وان المال الذي انتهى اليه عمر بن قنور منغيا في دار  
الغربة دليل ناطق على تخوفات المستعمرين من هذه الافكار (IO) ، ولم يكن موقف  
السلطات الفرنسية بدعا في هذا التصلب ، فان بعض المفكرين الاوروبيين نظروا الى  
الجامعة الاسلامية على أنها نذير بحرب صليبية ، وغلا بعض هؤلاء في عقيدتهم الدينية  
أو السياسية ، ولم يجدوا حلا لهذه القضية الا القضاء على المسلمين في جميع انحاء  
العالم وابدانهم من هذه الحياة ونبيش قبر الرسول (ص) بالمدينة ونقل رفاته الى متحف  
« اللوفر » بفرنسا (II) \*

والحق ان هذا الكاتب كان الجزائري الاول الذي تخطى الصفوف في جراءة  
صداقة ، وصدد بمعتقده دون خوف أو وجل ، واخلص للدعوة الى القومية  
الاسلامية الاخلاص كله ، وتحمل عباها وحده وكرس لها مهجة نفسه طوال عمر

(IO) نشر فصلا في جريدة الفاروق يدعو فيه الى مناصرة تركيا ابان الحرب الاولى  
فنفته السلطات الفرنسية الى الاغواط

(II) انظر : رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام ج I ، ص 801



القضية الا واعطاهما حقها من البحث والاستقصاء : فقد شخص حال المسلمين المتدهورة ، وبين أسباب هذا التدهور ، ثم اقترح لها الحلول المناسبة . فكيف رأي ابن قدور حال المسلمين آنئذ حتى استوجبت منه هذا الاعتناء الشديد ؟ » ٠٠٠ ان كل مسلم في هذا الوقت ليس بمسلم حقيقة ، بل هو تركي ، أو عريي أو بربري بحسب العناصر ، أو مغربي أو جزائري أو تونسي أو سوري أو مصري ٠٠٠ بحسب الاوطان وذلك القنافر أحدثه انحلال الرابطة الاسلامية التي كانت تربط كل مسلم بأخيه ، وان كان أحدهما بأقصى الشرق والآخر بأقصى الغرب ٠٠٠ وتلك أمة الاسلام التي ما زالت تسمى بالأمة الحقيقية واسطة عقد الامم ، أصبحت تابعة بمركزها الحالي ، وراضية بان تنسحب عنه الى المراكز الاخرى التي تبصرها من تحتها في الدرك الاسفل ، وما ذلك الا لان الغرور أوحى اليها كما أوحى الى الأمة الاسرائيلية من قبلها بانها أفضل الامم ، وانشؤها فوقف بها المحب عند هذا الموقف ، وانتشت من خمرة القناعة فبقيت متعاسرة متخاذلة ، لا يروق لها ما يروق للعاملين ، وما هي ذئ قد اشرف سلطانها على الزوال الى الابد كما باد سلطان الاسرائيليين من قبل . أفبهذا الحديث هم يكذبون ؟ (15) ٠٠ تلك هي حال المسلمين كما شخصها من خلال ما أصاب دولة الخلافة ( تركيا ) تفرق في أمرهم ، وتضارب في أهوائهم ، واختلاف في مذاهبهم . وفوق كل هذا وذاك غرور تحكم في نفوسهم فانصرفوا عن الاعتراف بواقعهم المرير . وقد جمع الكاتب حال المسلمين في كلمات جعلها عنوانا لأحدى مقالاته : ٠٠ قصور ، ثم قنور ، فريح الدبور ، وسكنى القبور ، فهل من نشور (16) ؟

والكاتب لا يكتفى باستعراض حال المريض ، ثم ينقض يديه منه بإسنا تاركا إياه نهبا للجراثيم الفتاكة والالام النفسية ، بل انه ليحاول جاهدا ان يشخص أسباب المرض ويصفها بكل دقة فيكون بذلك الزعيم الاصلاحى الذى لا يطوح به اليأس مهما تكن الازمة مستحكمة » ٠٠٠ ان هذا الداء هو عبارة عن نسيان الناس لاهمية نفوسهم من شدة ما أحاط بهم من هول الجهل ، وتملك الاجنبى ٠٠ » (17) .

والجهل ، وتسلط الاجنبى . في نظر ابن قدور هما سبب ما أصاب الأمة الاسلامية من ويلات . فقد نشأ عنهما فريقان مزقا الأمة بينهما تمزيقا ، طائفة جامدة متحجرة

(15) عمر بن قدور ، دان النهوض ولم يدن .. الفاروق ، ج ١5 (1936/6)

(16) أنظر م : س : ج ١4 و ١5 و ١6

(17) عمر بن قدور : معضلات اليوم والغد م : ج 5 (1933/28)



« ... وتلك الرابطة هي قوة روحية اذا تمكنت من ضمير المرء تجعله يحن الى أخيه حنوا لا يرى به عند أخيه عيبا ينكره عليه أو شذوذا يخله بسببه ، رابطة حث عليها الاسلام قبل ان يحث على الصلاة والصيام ، فاصبح بها اهلها المعتنون بتنميتها متصافرين ، وقلوبهم صخور مرصوفة الى بعضها ، يتألف منها سور ضخم لا تهزه زواجع الشقاق ولا تمسه أمواج التخائل (21) » \*

من هذه الفقرات نستطيع ان نفهم بأن الكاتب يريد ان تكون « القومية الاسلامية » اللقاء لجميع المسلمين في المشرق والمغرب يجعل منهم اخوة قبل كل شيء ، غاضين الطرف عن عيوب بعضهم بعضا ، حقاضا على ذلك الود ، ناكرين المصيبات الاقليمية الضيقة في سبيل الرابطة الدينية ، متجاوزين الاختلافات المذهبية اكتفاء بالكتاب والسنة.

وهذا التضامن الذي يجعل من المسلمين بنيانا مرصوصا على اساس من التقوى هو في نفسه غاية يرمى اليها عمر بن قنور كما صرح بذلك ، ولكن الذي نلمحه من خلال الاسطر ان وراء هذه الغاية غاية أخرى اجل واعظم اشار اليها في قوله : « ان القومية الاسلامية التي كان اصلها ناميا في افئدة عرب الحجاز حتى سادوا العالم في ظرف ثمانين عاما هي القومية التي قطر الله الناس عليها ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (22) \*

ولعلها اشارة من الكاتب لما اصاب الدولة التركية من ضعف وهوان \* وحث غير مباشر للمسلمين ليعملوا يدا واحدة لانقاذ دولة الخلافة ، فقد عرف عند « ابن قنور » نزعة نحو الاتراك لا تقاوم (23) \*

والحق ان الرجل كان نسج وحده من بين الكتاب الجزائريين حرارة ايمان بهذه المبادئ الاسلامية كشفت عن طموح فذ ، وتمرد عنيف على كل ما يقف امام هذه الوحدة الشاملة ، وقد جسمت امام اعيتنا داعية اسلاميا يتصف بكل صفات الدهشة من حماس في غير تهور ، وحذر في غير جبن \*

(21) دان النهوض ولم يدن ... م ، س ، ع 15 {1913/6/3}

(22) عمر بن قنور الجزائري ، معضلات اليوم والغد ، الفاروق ع 5 {1913/3/28}

(23) أنظر محمد ناصر ، المقالة الصحفية الجزائرية ، جامعة الجزائر (مخطوط)



وان بين الكاتبين شبهة جد قريب في فكرة التضامن الاسلامي اذ ان كليهما يؤمن بضرورة مساندة المسلمين للدولة التركية كقاعدة اسلامية تجمع قلوبهم حول راية الخلافة كما يتضح لنا ذلك من فقرة لمصطفى كامل :

« فواجب المسلمين ان يلتفتوا جميعا حول راية الخلافة الاسلامية المقدسة وان يعززوها بالاموال والارواح ، ففي حفظها حفظ كرامتهم وشرفهم وفي بقاء مجدها رفعتهم ورفعة العقيدة الاسلامية ذاتها » (26) .

---

(26) عبد اللطيف حمزة ، ادب المقالة الصحفية في مصر ، ج 5 ، ص 2٤





بين شمال افريقية من ناحية وغربها من ناحية أخرى ، وبناء على ذلك فإن الوحدة الافريقية حقيقة قائمة في التاريخ رغم عوامل الطبيعة وقسوة بعض هذه العوامل .  
ولاشك في أن هذه الفكرة في حد ذاتها تهدم الرأي الذي ينادى به الاستعمار اليوم ، وهو الرأي الذي يستهدف تمزيق الوحدة الافريقية والذي ينادى بأن شمال افريقية لا تربطه رابطة بقربها ووسطها ، وأن الصحراء الكبرى تشكل فاصلا كبيرا يحول دون قيام روابط ذات شأن بين شمال افريقية من جهة وغربها ووسطها من جهة أخرى .

وقد قسم المؤلف كتابه الى اثنين وعشرين فصلا خصص الفصل الاول منها لدراسة الجغرافية التاريخية لشمال افريقية والصحراء الكبرى ، وركز كلامه في الشطر الاول عن مشكلة قلة المياه في شمال افريقية ، وهي المشكلة التي لجأ الرومان في محاولة التغلب عليها ببناء السدود والخزانات فضلا عن حفر الابار . أما الشطر الثاني الخاص بالصحراء فقد تعرض فيه المؤلف الى التاريخ القديم للصحراء الكبرى وكيف أنها كانت مطيرة في العصور الجيولوجية البعيدة بدليل ما فيها حتى الآن من بقايا آثار تدل على وفرة ما كان فيها من نبات وحيوان . ثم يتتبع المؤلف بعد ذلك التطورات التي آلت بالصحراء والتي حولتها تدريجيا الى حالة جفاف شبه شامل نتيجة لقلة الامطار ، الا بعض مراكز محدودة توفرت لها المياه الباطنية أو غير الباطنية مما جعلها محطات طبيعية لتجمع سكان الصحراء من ناحية واستراحة التجارة والمسافرين من ناحية أخرى .

وتحت تأثير تلك الظروف الطبيعية القاسية أحس سكان الصحراء الكبرى دائما بأن المسافة بين الحياة والموت ضيقة جدا ، وأن حياتهم وحياة مواشيهم تتوقف على جرعة الماء التي كثيرا ما يفتقدونها فلجأوا الى المحافظة على حياتهم بكافة الطرق المشروعة وغير المشروعة ، حينما بالهجرة الفصلية الموسمية الى المناطق التي يسقط بها بعض المطر وبالتالي يتوافر فيها بعض الكلا ، وأحيانا بتنظيم الاغارات على البلاد الواقعة عند اطراف الصحراء لتهب ما يمكن تهبه وسلب ما يمكن سلبه .

وفي الفصل الثاني يتكلم المؤلف عن شمال افريقية والصحراء الكبرى قبل سيادة روما . وقد استشهد المؤلف ببعض كتابات هيرودوت التي وصف فيها حياة الاهالي في جوف الصحراء وصفا واقعيا ينطبق على ما وجد أخيرا من نقوش ورسوم معاصرة ، مما يدل على أن ثمة صلات كانت قائمة عندئذ بين سكان جوف الصحراء من ناحية وسكان المناطق والاقاليم الساحلية في شمال القارة من ناحية أخرى . ولما كان



حاميين - وكان أن ركز المؤلف كلامه على الفريق الأخير ، فقال ان قبائل الطوارق من الحاميين كانوا ينتشرون في الصحراء الكبرى جنوبى النطاق الجبلى الذى يمتد فى شمال افريقية من الغرب الى الشرق ، وقد اطلق عليهم العرب اسم الملتمين نظرا لان رجالهم اعتادوا وضع اللثام على وجوههم بحيث لا يظهر من الوجه سوى العينين . ويوصل الجمل الى الطوارق اصبحوا المتحكمين فى طرق القوافل وتجارة الصحراء الكبرى . وقد اشار المؤلف الى أربعة طرق كبرى فى الصحراء الافريقية الكبرى بجنوبها : اولها طريق سجلماسة وهو الطريق الذى يؤدى الى مناجم الذهب فى السنغال واعدالى النيجر وثانيها طريق غدامس - غات ، وثالثها طريق طرابلس - فزان - بحيرة تشاد واخيرا فى اقصى الشرق يأتى طريق بركة - كفرة فى وسط افريقية . وكانت السيادة للطوارق على الطرق الثلاثة الاولى .

على أن ثمة أهمية خطيرة للطوارق فى تاريخ القارة الافريقية تتلخص فى أنهم اخذوا يعتنقون الاسلام عندما تم للعرب فتح المغرب فى القرن السابع للميلاد ، ومن ثم قام الطوارق بدور الوسيط بين المغرب العربى من ناحية ، واقاليم غرب افريقية من ناحية أخرى ، واليهام يرجع الفضل فى نقل ديانة الاسلام وثقافته الى تلك الاقاليم . وقد خصص المؤلف الفصل الخامس من كتابه للكلام عن العرب فى شمال افريقية وذكر فى صفحة 60 ما نصه ، لم تكن هناك قبل وصول العرب الى افريقية أية معلومات معروفة عن الاقاليم الافريقية جنوبى المغرب . ونحن من الناحية العملية ندين بكل ما نعرفه عن التاريخ الاول للاقاليم الداخلية فى افريقية الى مجموعة من الكتاب العرب وأهمهم المسعودى وابن حوقل والبكرى والادريسي وياقوت الحموى وابن بطوطة وابن خلدون . ونحن نشعر فى هذا الكتاب الذى اعتمدنا فيه الى حد كبير على ما كتبه أولئك العلماء ، باننا ندين لهم بالشمى الكثير ، ولا أقل من أن نخص كلا منهم بكلمة فصيحة».

وبعد ان تكلم المؤلف كلمة موجزة عن أهمية كل واحد من أولئك الاعلام ، انتقل فى الفصل السادس من كتابه الى الكلام عن المرابطين . ذلك أن الملتمين ما كانوا يعتنقون الاسلام حتى اشتدت حماسهم لهذه الديانة الجديدة فاندفعوا فى صورة موجة عارمة صوب جنوب الصحراء لنشر الاسلام بين القبائل الزنجية فى غرب افريقية . وقد ترتب على هذه الموجة وصول الاسلام الى غانا ، ولكن الملتمين لم يقتنوا بهذه النتيجة بعد عدة قرون من الجهاد ، فقرروا توحيد صفوف قبائلهم ، واستدعوا أحد فقهاء المالكية - ويدعى عبد الله بن ياسين - من المغرب الاقصى ليثبت



بحركة توسعية حتى امتد نفوذ سلاطينها الى شمال نيجيريا حيث نشروا الاسلام  
والثقافة الاسلامية \*

وقد تكلم المؤلف في الفصل العاشر من كتابه عن هذه السلطنة وأشار الى سلطانها  
سنى على (1464 - 1493) الذى كون جيشا كبيرا استولى به على مدينة تمبكتو وتمكن  
بواسمته من نشر نفوذه على منطقة واسعة من سهول غرب افريقية \* وقد خلف سنى  
على فى سلطنة سنغى اسكى محمد الذى قام باداء فريضة الحج ومر بمصر سنة  
1494 فى موكب حافل لا يقل فى مظهره وروعته عن موكب منسا موسى \*

والى هنا يعترف المؤلف بأن ظاهرة الوحدة الافريقية كانت أتم ما تكون بين  
المغرب العربى من جهة وغرب افريقية من ناحية أخرى \* ذلك أن انتشار الاسلام على  
ايدى البربر بين أهالى غرب افريقية جعل هؤلاء الآخرين لا يتشربون تقاليد الاسلام  
فحسب بل يثأرون أيضا بالثقافة العربية الاسلامية ، والباحث يقرأ ما كتبه ابن بطوطة  
وغيره من المعاصرين فلا يسمعه الا أن يشهد بقوة الروابط الدينية والتجارية والثقافية  
التي ربطت بلاد غرب افريقية بالمغرب العربى \*

هذه الروابط وغيرها بين بلدان شمال افريقية وغربها فى ظل الحضارة العربية  
الاسلامية ذكرها بوفيل فى صورة أو أخرى فى الفصول العشرة الاولى من كتابه \*  
غير أن الاستعمار الغربى لم يشأ أن يترك افريقية للافريقيين ، واختار أن يتدخل ليعمق  
العلاقات الخالدة التي تربط أهالى شمال افريقية بأهالى غربها \* وكان أن بدأت فى  
القرن الخامس عشر جهود بعض القرى البحرية فى جنوب أوروبا وغربها للبحث عن  
طريق جديد الى تجارته التوابل غير طريق دولة المالك فى مصر والشام \* وقد  
شرح المؤلف فى الفصل الحادى عشر تلك الجهود المبذولة للوصول الى شواطئ  
غانا \* وحتى فى جهود الاوروبيين لاكتشاف افريقية لم يستطيعوا الاستغناء عن معارف  
العرب وما دونوه فى كتبهم من معلومات وما رسموه من خرائط \* وثمة شخصية عربية  
أفاد منها الاوروبيون فائدة ضخمة وأقر لها المؤلف الفصل الثانى عشر من كتابه ،  
وهي الحسن الفاسى الذى أسره القراصنة الاوروبيون سنة 1518 وأطلقوا عليه  
اسم ليو الافريقى \* وقد كتب الحسن الفاسى هذا كتابا ضمنه معلوماته عن افريقية  
وأفاد منه الاوروبيون فائدة ضخمة منذ القرن السادس عشر \* ويذكر الاستاذ بوفيل  
أن ما كتبه الحسن الفاسى ليدل دلالة قاطعة على أن تجارة السودان الغربى لعبت دورا  
كبيرا فى الحياة الاقتصادية للمغرب العربى \*

[illegible]

# التيسير فى أحكام التسعير

## لأبى العباس أحمد بن سعيد المجلدى

تقديم وتحقيق :

الاستاذ موسى لقبال

عرض : عمرو بن خروف

لقد صدر سنة 1971 عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع كتابان من الحجم المتوسط ؛ الاول من تقديم وتحقيق الاستاذ موسى لقبال استاذ التاريخ بكلية الآداب جامعة الجزائر وعنوانه « التيسير فى أحكام التسعير » • والثانى يحمل عنوان « الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى نشأتها وتطورها » وهو من تأليف الاستاذ موسى لقبال أيضا • وكما هو واضح فإن الكتائين يبحثان فى موضوع الحسبة او احلى وكما نراها كالتسجير •

وصدور هذين الكتائين فى موضوع واحد ينم عن اهتمام الاستاذ موسى لقبال بموضوع الحسبة المذهبية ، وقد قال صراحة : « ان رغبتي الخاصة جعلتني اختار الحسبة فى المغرب موضوعا لبحثي هذا ، بالإضافة الى ذلك ما لاحظته فعلا من ندرة التأليف فى بيتئتنا حول هذا الموضوع » (1) •

(1) لقبال موسى : الحسبة المذهبية ص : 41 .



«... في سنة ١٧٠٠»

والله اعلم بالصواب . «... في سنة ١٧٠٠»

والله اعلم بالصواب . «... في سنة ١٧٠٠»

والله اعلم بالصواب . «... في سنة ١٧٠٠»

والله اعلم بالصواب . «... في سنة ١٧٠٠»

#### في أحكام التمسك :

في أحكام التمسك : «... في سنة ١٧٠٠»

والله اعلم بالصواب . «... في سنة ١٧٠٠»

ولاحد بن سعيد تأليف أخرى فى ميدان الفروع والنوازل والاحكام .

### التيسير فى احكام التسعير فى ثوبه الجديد :

اعتمد المحقق لكتاب التيسير فى احكام التسعير على ثلاث نسخ محفوظة هي :  
نسخة المكتبة الوطنية بالجزائر ، ونسخة المكتبة الكتانية بالرباط ، ونسخة دار الوثائق  
والمخطوطات بخزانة الرباط . وكان اعتماده بالدرجة الاولى على نسخة الجزائر لانها  
اكمل نسخ المخطوط ، وفيها فروع وتنبيهات سقطت من نسختي الرباط ، ولان نسخة  
الجزائر تكاد تكون خالية من الاخطاء الاملائية .

والنص المحقق قصير . فهو فى نسخة الجزائر يتألف من عشر ورقات اما فى  
النسختين الاخرين قد يزيد عن اربع عشرة ورقة (2) .

غير ان الاستاذ موسى لقبال الذى قام بتقديمه وتحقيقه ووضح له كشافا عاما  
بالمصطلحات وآخر بالفهارس وآثره بالملاحق بلغ عددها احدى عشر ملحقا جعله يبعث  
من جديد فى ثوب انيق لطيف .

وكتاب التيسير فى احكام التسعير الذى بين ايدينا يتألف من 152 صفحة موزعة  
كالآتي :

36 صفحة خصصها لمقدمة الكتاب ومصادر تحقيقه .

53 صفحة لمثن الكتاب ، اما الصفحات الباقية فتشتمل على المصطلحات والفهارس  
والملاحق ، ونماذج من نسختي المكتبة الكتانية بالرباط والمكتبة الوطنية بالجزائر .

وقد اتبع المحقق فى الصفحات الـ 36 الاولى من الكتاب لتحقيق مخطوطه خطه  
نمثير نموذجيا يمكن ان يحتذى فى تحقيق مخطوطات شبيهة الصعوبة بالنسبة التى اعترضت  
محقق كتاب التيسير فى احكام التسعير ومرآة الحطة هي :

1 - استشارة كتب الفهارس لاختيار المخطوط

2 - تحديد عصر المؤلف والقاء ضوء عليه

(2) أبعاد ورقات نسخة الجزائر  $221 \times 172$  مم .  
أبعاد ورقات نسخة دار الوثائق بالرباط  $165 \times 113$  مم .  
أبعاد ورقات نسخة المكتبة الكتانية  $145 \times 100$  مم .



### اقسام المخطوط :

ينقسم نص هذا المخطوط الى مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة .  
والابواب فى نص المخطوط لا تزيد عن صفحة واحدة كما هو الشأن فى الباب الثالث مثلاً .

ويقدم مؤلف الكتاب بنفسه اقسام كتابه الذى يعبر عنه بـ « هذه الاوراق » فيقول :  
اما المقدمة ففى تعريف ما رمت جمعه (5) ، واما الابواب ففى :  
الباب الاول : فى فضل من قام بهذه الحطة الشريفة التى هى الحسبة وشروط المحتسب .

الباب الثانى : فى حكم التسعير .

الباب الثالث : فى الاشياء التى تسعر والتى لا تسعر .

الباب الرابع : فيما يسعر عليه وما لا يسعر عليه .

الباب الخامس : فى المعيار الشرعى والعادى ، وما يباع وزنا أو كيلا أو بهما وفى كيفيتهما .

الباب السادس : فى رد سعر الواحد والاثنين لسعر الجماعة .

الباب السابع : فى الاشياء التى يمنع بيعها أو يكره فى الاسواق ، وفى منع ذوى العاهات والقروح من بيع المائعات وغيرها .

الباب الثامن : فى وجوب رفع ضرر عام من الازقة والرحاب وغيرها .

الباب التاسع : فى حكم اخلاط المسلمين فى احكامهم مع اهل الذمة والنسبة بهم .

الباب العاشر : فى بيان الفش وما يعاقب به من ظهر عليه أو اتهم به .

واما الخاتمة ففى جمع مسائل لها تعلق بالمعنى الذى هو أساس الكتاب وعليه المبني وسميته « التيسير فى احكام التسعير » (6) .

(5) أى فى التعريف بالتسعير وكلام الائمة فيه لفة واصطلاحا على اختلاف التفسير ،  
انظر كتاب التفسير ص : 41 .

(6) أحمد بن سعيد نفس المصدر ، ص : 39 - 41 ، تحقيق موسى لقبال .

• . . . . .

... ..  
 ... ..  
 ... ..  
 ... ..  
 ... ..

• . . . . .

... ..

• . . . . .

• . . . . .

... ..  
 ... ..  
 ... ..

... ..  
 ... ..  
 ... ..  
 ... ..  
 ... ..

• . . . . .

... ..

• . . . . .

وانه لمن الاحسن والأفيدان يقع الاهتمام بالتصحيات الشكلية لكل الكتب والمقالات قبل صدورها ووصولها الى ايدي القراء ، ومن قبيل لفت النظر لاحظ أن اسم مؤلف كتاب اليسير في أحكام التسمير كما حققه الاستاذ موسى لقبال هو أبو العباس أحمد بن سعيد المجيلدي وليس أحمد سعيد المجيلدي كما وقع على الخلافين الخارجى والداخل .



ويحكم اندفاعهم ، وقصر عقولهم فوصلوا الى حافة الخسران ، قال تعالى فيهم : « الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون » ، « وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب » هؤلاء قد خيم الجهل عليهم ، وتحجرت قلوبهم ، وماتت ضمائرهم ، وفقدوا كل احساس وشعور ، سواء عليهم انذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، لان الكفر من معانيه : الستر والتغطية والظلام والسحاب . ان هؤلاء الكافرين لا يؤمنون بما دعا اليه رسول الله وبما انزل عليه من ربه كما قال تعالى : « ان الذين حققت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون واول جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم » انهم صمموا على الكفر والعناد فقد نفروا من الايمان ، وكفروا بالقرآن ، وعصوا الرحمان ، وتعادل لديهم الانذار وعدمه فهم لا يؤمنون بما جئتهم به . وقال على ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : « ان الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ، ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الاول » .

اختلف المفسرون في أن : كفر الكافر الاصلى اقبح ، أم كفر المنافق ؟

قال قوم كفر الكافر الاصلى اقبح لانه جاهل بالقلب كاذب باللسان . والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان .

وقال آخرون : بل المنافق ايضا كاذب باللسان ، فانه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه . ولذلك قال تعالى : « قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولا يدخل الايمان في قلوبكم » .

وقال : « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » .

ثم ان المنافق اختص بمزيد امور منكرة ذكرها الامام الرازي في تفسيره . وهي ان المنافق قصده التلبيس والكافر الاصلى ما قصد ذلك .

والثانية أن الكافر على طبع الرجال ، والمنافق على طبع الخنثوة .

والثالثة أن الكافر ماض لنفسه بالكذب ، بل استنكف منه ولم يرض الا بالصدق والمنافق رضى بذلك .





ورسوله الشافع في أمته يوم الحساب والنشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن  
والاه الى يوم الدين .

اما بعد أيها المسلمون فان الله انذر اهل الكفر ، بما أنزل على نبيه من الذكر ،  
ودعاهم الى التدبر ، والى ما يحييهم وينبه قلوبهم ، ويؤثر في أسماعهم ، فأبى أكثر  
الناس الا كفورا ، وأصروا على عدم الايمان بالله وبرسوله لذلك كله : « ختم الله  
على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم » طبع الله  
وختم على هذه القلوب المريضة الفاسدة التي لا تفرق بين الحق والضلال ،  
كما طبع على أسماع هؤلاء المكابرين فكانته غطى أذانهم وسترها ومدها فلا تسمع  
انذارا ، لا سرا ولا جهارا ، وجعل سترا كثيفا على أبصارهم فلا يرون حقا ، ولا  
ينطقون صدقا ، وذلك لانهم اختاروا طريقة العناد ، ولم يعبدوا رب العباد . « أفمن  
زين له سوء عمله فرآه حسنا ، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فلا تذهب  
نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون » علم الله صنعهم وتصرفهم وقد حكم  
عليهم ، فلا معقب لحكمه فحتم وكتم ، بعد انذار وتحذير ، من الله العليم الخبير ، ان  
قلوب الكفار اغلقت على الكفر ، وأحكم اغلاقها بالكتم والختم . وهذا هو مصداق  
قوله تعالى فيهم وفيمن سار على طريقهم « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين  
لا يبصرون بها ، ولهم أذان لا يسمعون بها » . اي زودهم الله بالمعرفة بالقلوب الحية  
الناضجة وبالأعين الباهرة ، وبالأسماع الرمفة ، فعطوها ولجوا في العناد والاحاد  
فجاء حكم الله عليهم قاسيا ، وخصوا بالعذاب العظيم الذي كان عاتيا ، « وأما من  
خفت موازينه ، فأما هاوية ، وما أدراك ما هية ، نار حامية » .

وينبغي للمسلم ان يتعظ بما صار اليه الكافر المكابر ، وان يسمع قول الله الذي  
ينادى الناس كافة بقوله : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغني  
الحميد ، أن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز » . فأنتم تحت  
سلطة الواحد القهار ، الذي بيده الاعمار ، فتوبوا اليه ، واستغفروه ووحده ، انه  
نعم المولى ونعم النصير .

اللهم أعنا على أداء فرائض ديننا وأهدنا وأعف عنا وأغفر لنا وارحمنا أنت  
مولانا فأنصرنا على القوم الكافرين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .



لتبالح في الخديعة والمكر ، ولتفعل كل أفعال الشر ، لذلك حذر الله رسوله منها ومن شرها ، وفضحها بقوله : « وما هم بمؤمنين » والدافع لذلك أنهم أصبحوا قلة معزولة لم يستطيعوا مجابهة المسلمين في المدينة المنورة ، لذلك اتخذوا طريقة التكتّم والتستر ، ليفعلوا ما بدا لهم من شر ، وليأمنوا على مصالحهم وذرائعهم ، وعلى نسايتهم وأنفسهم من كل خطر وضرر .

ونزيد من التوضيح لحالة هذه الفئة الباغية بين الله تعالى لرسوله بقوله : « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله » أي يقولون ذلك بالسنتهم المخالفة لاعتقادهم بشهادة الله الذي لا يخفى عنه خبث هذه الطائفة الكاذبة الماكرة ففضحها بقوله : « والله يشهد ان المنافقين لكاذبون » . لأن النفاق هو اظهار الخير ، وإسرار الشر ، والمنافق هو من يخالف قوله فعله ، وسره علانيته ومدخله مخرجه ، ومشهده مغيبه ، وقد جعلهم الله في صف الكافرين وأمر نبيه بجihadهم والغلبة عليهم والتنبيه لتصرفاتهم بين المسلمين فقال تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير » . أي جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان ، وشدد على كلا الفريقين بالقول والفعل أنهم من طينة أسنة فاسدة ، فلا تنفع فيهم الموعظة ، ولا تردعهم الزاجرة ، فمصير هؤلاء وأولئك الى أسوأ مصير ، « ان هؤلاء يحبون العاجلة ويثرون وراءهم يسوما ثقيلًا ، نحن خلقناهم وشددنا أسرهم ، وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً ، ان هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً ، وما تشاءون الا ان يشاء الله ، ان الله كان عليماً حكيمًا ، يدخل من يشاء في رحمته ، والظالمين أعد لهم عذاباً ألماً » . وقد ظهر النفاق بالمدينة المنورة بعد أن هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقويت شوكة المسلمين بها ، وعظم سلطانهم بالتصرف في شأنها ، فعظم الامر على من كانوا قبل ذلك يسيرونها ويتهايئون لرئاستها وسياستها من منافق الأوس والخزرج ، فلما جاءها الرسول وأسلم أغلب سكانها ، ظهر النفاق في قلة قليلة ، وتضامنوا مع اليهود المتساكنين بها ، وهم بنو قينقاع حلفاء الخزرج ، وبنو النضير ، وبنو قريظة حلفاء الأوس . ولعل أكبر الناس عداوة للمسلمين هو ( عبد الله بن أبي ابن سلول ) وهو من قبيلة الخزرج وكان من السادة والقادة ، فلما كان انتصار المسلمين في واقعة بدر ، أظهر أسلامه واتبعه من اتبعه في ذلك من شيعته ، من العرب واليهود وتفننوا في الكتمان والسرية والجهود ، فاعلنوا الايمان وأخفوا الكفر والمصيان . وهؤلاء هم



وتلونهم ، وهذا الحال منهم يستوجب قتلهم ، والقضاء عليهم ، ولكن حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم في عدم الأقدام على قتلهم ، معوضة بجهادهم بالقرآن ، الذي فضحهم في كل ميدان .

وقال الامام الشافعي انما منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام مع العلم بتفاههم لان ما يظهرونه يجب ما قبله . اما الامام مالك فقال : انما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين لبيان لامته ان الحاكم لا يحكم بعلمه ، ووضع القرطبي هذا المعنى بقوله : قال : وقد اتفق العلماء عن يكرة أبيهم ان القاضي لا يقتل بعلمه ، وان اختلفوا في سائر الاحكام .

وما جاء في الصحيحين ان رسول الله قال : ( امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ) ومعنى هذا ان من قالها جرت عليه احكام الاسلام ظاهرا . وانما كان التحذير بالقرآن لهؤلاء اتباع الشيطان ، فقال تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاوروك فيها الا قليلا ، ملعونين اينما تكفوا اخذوا وقتلوا تقتبلا » .

ايها المسلمون : ان هؤلاء المنافقين المستترين قد حاربهم القرآن بأوضح بيان ، وأشار اليهم فاتضح سماتهم وتبين لحنهم في قولهم فلم تبق الا فضيحتهم والاشارة بالاصابع اليهم ، فقال تعالى : « ولو نساء لاريناكنهم قلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول » « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون » ذكر بعض المفسرين أسماءهم فقال : وهم المنافقون ( عبد الله بن ابي ، وجد بن قيس ، ومعتب بن قشير ) وذكر الزمخشري ان عبد الله ابن ابي ، قد شفع فيه سعد بن عبادة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ( اعف عنه يا رسول الله واصفح ، فوالله لقد اعطاك الذي اعطاك ، ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصوبوا بالعصاية فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك ) حديث متفق عليه . وقرى ( يكذبون ) بالتخفيف وبالتشديد للمبالغة من كذب ، كما بولغ في صدق فقيل صدق .

اللهم اعنا على الحق ، والصدق ، وقتنا من كل منافق متملق ، يا ارحم الراحمين يا رب العالمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين امين .



ولقد كانت المساجد دوما هي الحصن المنيع الذي تحطمت دونه محاولات تفكيك المجتمعات الإسلامية وسلخها من مقوماتها . كما قامت المساجد بدورها كاملا منذ العصر الإسلامي الأول ، وعلى امتداد عصور التاريخ الإسلامي ، وخاصة في العصر الذهبي ، حيث أسهمت بقطر وأثر في ازدهار الحضارة الإسلامية ، بل وأسدت الحضارة الإنسانية بأجيال من العلماء في شتى المجالات ، ساهموا بالكثير في ازدهار حضارة عالم اليوم .

ومنذ القديم كانت مساجد الجزائر تخرج كبار العلماء في علوم الدنيا والدين لهم شهرة عالمية ، أمثال ابنى الامام ، وعبد الرحمن الشعالي ، والشريف القلمساني ، والمقرئ ، وابن مرزوق الجندو الحفيظ ، والقصادي ، والوانشريس ، ممن لا يحصرهم العدد ، وعلى بعضهم تخرج ابن خلدون ، والشاطبي .

وفي العصر الحديث أخرجت مساجدنا رجال النهضة العربية الإسلامية بالجزائر أمثال عبد الحميد بن باديس ، والبشير الابراهيمي ، ومبارك الميلي ، والعربي النبسي ، وحمدان الوئيس ، وتلاميذهم ، الاحياء منهم والاموات ، وهم كثير .

ولقد كان الفضل للمساجد ، أثناء عهد الاحتلال البغيض ، في المحافظة على مقوماتنا وقيم شعبنا المتمثلة خاصة في الإسلام والعربية والايمان بالارض الجزائرية ووطننا اسلاميا ، وكانت المساجد تكاد تكون الاماكن الوحيدة لسماع الدروس والقائنها وخصوصا قبل عهد الاستقلال - ولكن الدراسة اليوم تطورت وأصبحت المساجد لا تقوم بواجبها لعدم صلاحيتها صحيا ، لايواء العدد الغفير من الطلاب ، وعدم ملائمة الدراسة لاقسام كثيرة في أماكن قريبة بعضها من بعض ، لهذا أسست المعاهد لتعويضها وبقيت المساجد وملحقاتها لتعليم القرآن . للكبار والصغار ، وإلقاء دروس الفقه والتفسير والحديث ، والوعظ والإرشاد ، وهذه هي مهمتها الأساسية .

فمنذ استرجاع الاستقلال ، بدأ السعي حثيثا لكي يستعيد المسجد رسالته الحقيقية كمؤسسة روحية وتربوية . ودور المساجد في بلادنا اليوم ، ليس - كما يقول





وبالإضافة الى ما سبق ذكره ، فإن دروس الفقه والتفسير تعطى فى المساجد بعد صلاة المغرب من كل يوم ، تشهد هذه الدروس نجاحا كبيرا وأقبالا متزايدا فى كثير من الجهات .

وإذا كان صا- بالمقال قد لاحظ خلو بعض المساجد من هذا النشاط ، فإن ذلك قد يعود الى عزوف بعض المواطنين عن حضور هذه الدروس فى هذا الحى أو ذاك ، كما سبقت الإشارة اليه آنفا ، وللأسباب السالفة الذكر . ولعجز الأئمة فعلا فى حالات أخرى وهذا وضع مؤقت لا ننكره بل نأسف له ونحن بصدد معالجته .

وليعلم الأخ عبد القادر بن يسعد أن هذه النشاطات المسجدية المتمثلة فى تحفيظ القرآن الكريم ، ودروس محو الأمية ، والدروس المسجدية ، تعتبر من صميم أعمال الأئمة ، التى وهبوا من أجل القيام بهذا بالإضافة الى إمامة الناس فى الصلوات الخمس ، وصلاة الجمعة ، وقيامهم بالوعظ والإرشاد والإفتاء .

وفى الختام ، أملنا أن يكون السيد ابن يسعد قد عرف الدور الحقيقى الذى يلعبه المسجد اليوم فى بلادنا ، وأن يعلم أن هناك مراقبة صارمة من طرف الوزارة حتى يقوم المسجد بالمهام التى ينتظرها الجميع منه ، بقدر الامكان .

وهذا لا يعنى أننا قانمون بهذا العمل ، فرسالة المسجد أكبر وأجل ، وننتظر أن تسترجع مساجدنا دورها الكامل تدريجيا ، وتعود كما كانت فى عصورنا الذهبية مراكز إشعاع روحى وعلمى ، **وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ، وأنا لترحب بكم للمساعدة فى هذا العمل ان كان لكم استعداد وبكل من له حسن استعداد .





من محاضرات الملتقى

## تأملات حول مستقبل الحضارة العربية والإسلامية



الأستاذ إبراهيم غافه  
سفير الجزائر في اليابان

سيداتي سادتي :

أنتي الإسلام ثورة في الاخلاق وفي التنظيم الجماعي وفي تجنيد  
وصهر القبائل العربية للقيام بالدعوة المحمدية ونشرها في كل  
أفاق المعمورة \*

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التثقيف في الدين ، المساواة  
والحرية ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ، وكل من آمن  
بالاسلام وانتظم تحت لوائه أصبح قوة ضاربة مهابة يبادر الى  
الاستشهاد حتى يظفر بالفوز المبين ويكون في عداد الخالدين بالعقيدة  
وبالجهاد ، ظفر الاسلام بحضارات ثلاث ، حضارة الفرس العجم  
وحضارة الرومان وحضارة الفراعنة ، كما جعل الاسلام من القاعدة  
العربية الارضية المتينة التي رد بها على بنى اسرائيل بعزم وتصميم  
وبنى عليها صرح الحضارة العربية الشامخ التي عاركت الحياة  
والوجود وبقيت لحد الآن في عداد حضارات العالم الرئيسية بفضل  
الفتوحات الاسلامية ، وبفضل تجنيد العرب وجهادهم في سبيل الله ،  
صارت اللغة العربية لغة الكتاب المبين ، المعبر القيم للحضارات  
الفائرة ، عرفت بتاريخ الهند القديم ، وبتاريخ الصين ، كما سطرت  
المعالم الاولى لتاريخ الاجتماع في المغرب ، وتاريخ العلوم في المشرق  
ويكفي أن تستشهد هنا بابن خلدون و بالببروني \*

لم يحق اللغة العربية التعبير عن فلسفة اليونان والفرس والهند  
والرومان ، كما لم يعقها أن ترمي قواعد الجبر والكيمياء والفيزياء  
والرياضيات ، وما تبقى من كتب البيروني يفنى عن المناقشة  
والاستشهاد بزايا اللغة العربية وقدرتها على استيعاب عيون الحضارات

92

(\*) محاضرة القاها في الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الاسلامي المنعقد  
بتمنطية في 17/8 جمادى الثانية 1390 هـ - 19/10 اوت 1970 م \*



وتشاطباتها في انتصارها وفي هزيمتها ، في بقائها وفي فناها .

اننا في يوم من الايام اخذنا الكلمة باسم جبهة التحرير الوطني الجزائرية وديطنا كفاح الجزائر بالدفاع عن عروبته واسلامها وكان ذلك في احدى مؤتمرات أدباء العرب وامام الدكتور طه حسين ، فما كان منه الا ان رفض ان يربط الادب بالسياسة ، ومنذ ذلك الحين ونحن تفكر في هذا الموقف ولا نلنا نصر واكثر من اى وقت مضى وخاصة بعد استقلال بلدنا العزيز يربط الادب بالسياسة اى يجعل معركتنا الحضارية في اطار اختياراتنا الاشتراكية لانه لا يمكن لحضارتنا اليوم ان تنهج منهج التجربة الفردية ان تسلك سبيل المجهود الفردى ان تحذو طريق من يسرد حياته عبر الايام ويعبر عنها في اسلوبه الخاص ليصبح نموذجا لمن يريد ان يصل الى القمة بمفرده منعزلا عن احداث امة برمتها ، مكتفا في برجه العاجى ينظر الى امور الادب نظرة التقنى المتخصص لينتقد وينتقد ليعبى على هامش المصير .

ومدرسة احياء اللغة العربية و احياء التراث الاسلامى تنسى ان وجودنا اليوم يقتضى مجابهة صراعات اخرى متفاعلة مع الاحداث فى عالم تغير تاما عما كانت عليه بلادنا حتى فى بداية القرن العشرين . طريقة محمد عبده وقبله جمال الدين الافغانى المعتمدة على التفسير الحديث - مثلا - للقرآن والهاب الشعور ~~إذ~~ كما الضمائر للنهضة غير كافية لانها تعتمد على التأويل لجعل تعاليم الدين تطابق متطلبات العصر دون ان يحدث تغيير يذكر فى المجتمع الذى عاش فيه عبده وجمال الدين الافغانى ، وهذا ايضا لجهل مقتضيات الجغرافية السياسية المصرية .

فلاصلاح فى الجزائر - مثلا - بخصوص الدين اتى على أسس من الواقع وسياسة الدفاع عن النفس وتنازع البقاء ولم يات فقط لزيادة الوان فى الفكر باعثها الخيال والالمعية .

فمثلا ، عند ما أوجز ابن باديس فى مثلث واحد الحفاظ عن وجودنا بقوله : «الاسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا» اعطانا السلاح الفكرى لنقاتل به دفاعا عن بقائنا فوق هذه الارض بذاتيتنا وشخصيتنا . وعند ما نظم الشيخ البشير الابراهيمى تعليم شعبنا باللغة العربية عن طريق المساجد الحرة والعلمين



في أزمة فكرية حادة ، في أزمة مصير ، أزمة حضارة ووجود .  
لقد سمعنا احدى الشخصيات الشرقية الكبيرة المتضلعة في  
علوم الدين الاسلامي ، وهي تتسأل عن مصير القومية العربية بعد  
جوان 1967 م .

هذه الشخصية كانت تدلل بان مصر هي التي وراثت بفضل  
الازهر الدفاع عن العروبة والاسلام ، وهي التي صمدت قرونا طوالا  
في سبيل التثقيف الديني وتبينت الدعوة المحمدية العربية الاسلامية  
وبنها ، وان مصر تغلّت عن الفرعونية ، واصبحت مهد الحضارة  
العربية الاسلامية ، وحيث بذلك وتابعت رسالتها الحضارية ، ولم يك  
مصيرها مصير حضارة الفرس والرومان .

على هذا الاساس خاطبت هذه الشخصية الولايات المتحدة  
الامريكية متسائلة ، كيف يصح لهذه الدولة العظمى وهي التي انقذت  
العالم من كارثة النازية اثناء الحرب العالمية الثانية ، ان تتساند  
نازية أخرى وهي الصهيونية ، وتريد أن تمكنها من أرض العرب  
وتساعد على اذلالهم والحط من شأنهم ، وراحت الشخصية تحذر  
الولايات المتحدة من الاستمرار في الغلطات مثل تلك التي مكنت  
الشيوعية من الاستتباب في الاتحاد السوفياتي (هكذا) ، وان تمادت  
الولايات المتحدة الامريكية في غيها ، فمن يمنع الشيوعية من بلاد  
العروبة والاسلام ؟

هذا الحديث قديم فعل عهد المستشرق ماسينيون كانت الفكرة  
في اتحاد المسيحية والاسلام ضد الشيوعية في الصراع الفكري .  
اليوم اننا نرى التمايش السلمى يتجاوز هذه الافكار ويغلب عليها  
المصالح الاقتصادية والاستراتيجية .

أوردنا هذا الحديث للتدليل على أزمة الحضارة السائدة اليوم  
في الشرق الاوسط . مفكرون يربطون الآن بين سيادة بلادهم وأهمية  
الدور الذي تلعبه في الميادين الدينية والثقافية لتبصير الآخرين  
بالخطر الذي يروونه والذي يمكن أن يسببهم جميعا .

وهؤلاء المفكرون قدامى في تفكيرهم وفي أسلوبهم ، عتسادهم  
قديم ووسائلهم بالية والتعبير عنها اظهار لأزمتههم .





وتقضى بها بعض المآرب أو ننتخلص من مشاكلها ، واننا نريدها أن تكون خميرة الصعود وبذرة الرقى والتغيير والتطور فى تحقيق الاهداف الاشتراكية لا النجاحات الفردية التى تجعلها نخبة منحلة منفصلة عن واقع الشعب تعيش على هامش المصير والاختيارات الوطنية .

ثورة الجزائر التى لم يعطها الكتاب العرب حقها من كتابة ومن تعريف والتى تفنى بها بعض الشعراء العرب كملحمة وكمنغرة على النمط والاسلوب العربى القديم ، امامها مستقبل فكرى عظيم ، فلا بد أن يسكن الطموح ابناءها للتعريف بها ولادخال ابعادها فى الحضارة العربية التى لا تزال تتسم بالفردية والتى تتسائل فى الشرق عن مصيرها بعد جوان والتى هى اليوم فى اعنى امتحان تكون او لا تكون .

فالحضارة مجموعة من الاعمال والابتكارات والنجاحات المادية والروحية ، لقد أتى دورنا لقد حانت ساعتنا ونحن تبني ثورانا الثلاث لنخلق أدبا من حياتنا وعلوما نابغة من تجاربنا وأخلاقا سامية برهن على جديتها شهداؤنا فى أروع جهاد عرفه تاريخ العرب والاسلام الثورة الثقافية فى الجزائر لا بد أن تكون فى مستوى ثورتها السياسية العارمة الثقافة والعلم للجميع والمعرفة والعمل للجميع هكذا نمطى للمشرق ولغير المشرق مثل انتفاضة الشعوب فى القرن العشرين ، وهكذا نمطى بعدا جديدا فى حضارة القرن العشرين .

لنعلن من هذه المنصة من صخرة قسنطينة ان عهد التبعية الثقافية قد انتهى ، وان عهد الفكر والاختراع والابتكار والتجارب قد بدأ فى الجزائر وان الشرح وشرح الشرح قد ذهب الى غير رجعة وان مركبات المعجز والفشل قد فات أوانها وان التقليد لن يعود غاية لنا ، ان مصيرنا بأيدينا واننا لا نتسائل عما سنعمل وعمن سنكون .

لقد سبقتنا ثورة مسلحة واننا ساعون فى ثورات ثلاث واننا غير مذنبين فى الراى ومراحمين او عاطفين او خياليين ، اننا آخذون بأسباب الثقافة والحضارة وبعد أن تعرفنا على أوضاع الشرق الاوسط الشئ الذى كنا محرومين منه على عهد الاستعمار وبعد أن مرت بنا



الاتراك ثم الى الفرنسيين واننا لم نتأثر بها فحسب بل أثر فيها بعض من اعلامنا على الاقل كحضارات الرومان والعرب والفرنسيين فسأل اليوم يعتبر القديس اوجستان أحد آباء الكنيسة الكاثوليكية وكتابه «بيت الله» احدى المراجع للمتدينين المسيحيين ، أما الحضارة العربية فقد أسهم فيها علماؤنا ومن يريد استقصاء البحث عليه أن يراجع كتاب «عنوان الدراية في تاريخ علماء بجاية» و «البلستان في تاريخ علماء تلمسان» ثم كتاب «نفع الطيب» للمقرئ و «مقدمة ابن خلدون» التي كتبها صاحبها بالقرب من مدينة تاهرت الجزائرية \*

ثم هناك شخصيات فذة لعبت دورا تاريخيا عظيما مثل ابن توصرت \*

أما الحضارة الفرنسية فالى حد الآن يمكننا أن نعد بعضا من الكتاب الجزائريين الذين تأثروا بالثقافة الفرنسية وتشبعوا بها \*

وهذه التأثيرات قرديّة أنت عن سلوك وطموح فردى لا يمكننا أن نعتها بأنها الثقافة الوطنية أو بالمثل الذى يجب أن يحتذى به وانما هي للتدليل على انعدام الثقافة الجماعية والمجهود الثقافى الجماعى المعبر عن مسيرة أمة يرمتها وهى تنهض بهام الخروج من التخلف والفساد والجهل \*

ان الدولة الجزائرية التى تعطى اليوم التعليم الابتدائى والثانوى والعالى مجانا لمليونين من ابنائنا والتى تشد العزم على اعطاء السيادة المطلقة للفتنة العربية بعد حرمان شعبنا منها طيلة قرن ونيف كونت لجنة وطنية لاصلاح التعليم ولجانا فرعية فى الولايات حتى تضمن لبلدنا تعليمنا ناجما وثقافة صالحة وحضارة حسية مبنية على الملموس والواقع والمعرفة الصحيحة \*

حينئذ لا يضمن النجاح للتجربة الجزائرية الا اذا اجتازت الدائرة العربية المتينة وتخطت البحث عن «كان العرب وكان الاسلام» وأصبحت تترجم ذاتيتها وعبقريتها بالمنطوق الحديث واسس عالمية العلوم المعاصرة بالبحث والتجربة والتمحيص والتبادل العلمى والتجارب العالمية فى الاختراعات والابتكارات ، ولا بد من تعلم اللغات الرئيسية العالمية \*



اتنا اليوم فى الشرق العربى وفى المغرب العربى ، نبعت سويا  
تقريبا فى نفس المستوى عن حضارة الآل ، والمعلم هو المجتمعات  
التي بلغت شوطا بعيدا فى التكنولوجيا فى أوروبا وفى أمريكا وفى  
آسيا .

ان التزامنا بالتكنولوجيا شرط أساسى للبقاء ، ان الاستعمار  
بالتقدم التكنولوجى يتوسع على حساب المجتمعات المتخلفة أو  
بلاد العالم الثالث ، ولا بد أن نتسلح بسلح التكنولوجيا ، لحد من  
الظلم ، والنهب الاستعمارى الشره ، وهذا هو السر فى اتباع سياسة  
الاكتفاء الذاتى .

فالحضارة الصناعية تمكننا من نفوذ مادى عظيم يسخر لنا  
امكانيات طبيعية ومدهشة ويصون استقلالنا وسيادتنا التي هى شرط  
أساسى لنمو شخصيتنا وحضارتنا .

ولقد سبقنا ابن رشد وأبو حيان التوحيدي الى فلسفة الاستلham  
الطبيعى وكان ابن رشد يرى أن الطبيعة قاعة يتلوج منها العقل  
الجماعى .

وهذا دليل على تفتح التراث العربى نحو الطبيعيات .

نعم شرق عربى ومغرب عربى فى نفس التساؤلات ونفس  
التأملات نحو الوجود والبقاء والتجدد والإصالة كل يأسف على اتنا  
لم تكن تساهم بشئ، فى عهد البخار وعهد الكهرباء واليوم فى عهد  
الذرة والالكترون وكل يعزو مصابه الى التخلف التقنى والفنى وكل  
يبحث عن الطريق المثلى فى الاجتهاد بتلك الحضارة التي يطالب بها  
أحد فلاسفة الاجتماع الغربيين بأن تمنح للفرد والجماعات امكانيات  
التحول المستمر بين الاشياء والسمات بين الافعال والكليات بسن  
الطاقات والرموز .

اتنا لا نريد التضيق على انفسنا وحشرنا فى دائرة مغلقة ،  
فالشرق العربى منذ حملة نابليون وهو يوقد البعثات الى أوروبا  
وأمریکا ليفترف من العلوم الحديثة ، فالشرق نفسه يسعى لاقامة  
صناعات ولدخول عصر الذرة والالكترون ، فالشرق يترجم ويتعلم  
ويتفتح ، لقد لاحظنا هذه السنة ظاهرة معبرة فى الشرق العربى ما



ومن الفنيين والعلماء لتحقيق نصر مبین فی میادین الاقتصاد والاجتماع والصناعة عددا وعدة لبناء الحضارة فی بلدنا بأنفسنا ولتشع بدورها علی غیرنا بمشاهمتنا فی التراث الانسانی العالی \*

خطواتنا ملیئة بالنقة فی نفوسنا مثل تلك النقة التي مكنت المجاهدين عندنا من احراز القلبة فی میادین الشرف والقتال \*

اتنا ضربنا امثلة بالكفاح الجزائري وبالصراع فی الشسرقة الاوسط والبحث عن المصیر مرتبط بالتصدی الى مشاكل حضارتنا العربیة الاسلامیة وأكدنا علی ضرورة الدخول بها الى الحضارة الصناعیة والتکنولوجیة والاسلحة الیوم فی متناولنا الكتاب والسما والتلفزیون والمصنع والجامعات والمعاهد الثقافیة والتکنولوجیة ، علینا فقط ان نخطط اختیاراتنا وان نخوض التحدیات بإیمان فی النصر مع الیقین وبآمال الکادحین الذین یسمون دوما فی سبیل حیاة أفضل ومستقبل باسم مشسرقة \*

فجیلنا لا بد ان یعیش مع زمانه وان یصارع مشاكله الحاضرة والمقبلة ، لا فائدة فی البکاء علی الماضي ، لقد عادت لنا الحریة وعادت لنا السیادة ووقص شعبنا لها وفرح بها ولا بد الآن من ان یضمن البقاء والخلود لابنائهم فوق أرض یقیرها وبآله تفریه وتطور مجتمعه \*

بلد أعطی المثل فی الکفاح المسلح لا بد ان یحقق المعجزات عن طریق المختبرات والاختراعات والانجازات فی البناء والتشیید فی الفنون المعماریة والصناعیة والهندسیة ، والاوائل سبقونا الى هذا فی الاندلس وفی تاج محل روعات وآیات هندسیة تصدی لها باعجاب کتاب عالمیون مثل مالرو المستنطق للحضارات العظیم \*

سكنت حضارة العرب منذ القرن الخامس عشر بعد المسیح لان العرب غلبوا والیوم ینهض العرب رويدا رويدا یتخبطون فی صعوبات لاحد لها ویدرکون شیئا فشیئا ان القوة سر الوجود وان الشمر والخطابة لا یکنیان للحیاة وان الانظمة السیاسیة الواهیة والیاکل البالیة والمتطفلین علی المسؤولیات دون تحضير ووعی وادراک کلها عواقب فی بناء الحضارة التي تستوجب التفانی فی العلوم وفی الاخلاق





بتجديد جامعاتها ومعاهدها وبتغيير هياكلها الاقتصادية والفنية ،  
وأشركت المثقفين في الاشراف والتسيير واعتنت بمشاكل الشباب،  
والتعليم أيضا اعتناء ، وصارت هذه المشاكل موضوع العصر ، وكيف  
بنا نحن حديثي العهد بالاستقلال وبأمور البحث في التطور  
والحضارات .

فتمرضنا لها واجب يمليه علينا ضميرنا وطموحنا في بناء الدولة  
الجزائرية التي لن تقل شأننا عن الدول الحية التي تبذل الكثير من  
الجهد والمال ومن التفكير ، لتعمل على البقاء ودوام الوجود .  
في التجدد سر وجودنا ، وفي معركة الفكر والتقنية أسباب  
حضارتنا . لنعمل اذا كلنا لنساهم في تجديد الحضارة العربية  
الاسلامية التي ننتمي اليها ، ولندخل فيها بعد ثورتنا المسلحة  
ثورتنا الثقافية ، حتى نكون أحد عناصرها البارزين الخالدين .  
والسلام عليكم ورحمة الله .



ولكنى مع ذلك اعتبرت من الواجب على أن اتبع كلمتى الاولى عن ماضى الثقافة الاسلامية ، وحاضرها ، بهذه الكلمة الثانية التى اعتبرها متممة لاختها ، ووصلة لها ، وقبل أن اتناول بحث هذه الجوانب ، أرى لزما على أن أستهدى بمقالات الاخوان ، وتحريات المحققين ، وافكار الخطباء الذين تداولوا على الخطابة فى هذا الملتقى الرابع لاكتشف عن بعض الحقائق التى اعتبرها حقائق ثابتة ، لا سبيل الى تغييرها ، ولا الى التنكر لها لكونها ستكون ذات أثر بعيد فى مستقبل حياتنا لجهادية .

فقد كانت الاحاديث الذى تداول الخطباء عليها فى هذا الملتقى موقظة للهمم فاحصة للدواء ، متكاملة فيما تناولته من أغراض وموضوعات ، لكونها بحثت أحوال المسلمين وتحدثت عن الاسلام وحاولت مع ذلك أن تفوس على الحقائق الايمانية ، وما لايسها من أحوال ، كانت مرة تمكن من المجد ومرة تحول دون هؤلاء المسلمين وبين الامجاد التى يتعلقون بها فاذا التفتنا الى هذه الاوضاع ، وجدنا فى الواقع الامة الاسلامية فى هذا الظرف المصيب الذى تمر به ، قد حاول المصلحون أن يأخذوا بيدها وأن يخرجوها مما هى فيه ، من أزمات ، ومن أحوال ، مازلنا حتى الآن ننكرها على أنفسنا ونتشاكاهنا ونحاول التخلص منها ، ولعل ذلك هو ما دعى بعض المحاضرين فى هذا الاسبوع لأن يقول : ان الإصلاح فشل ، أو دعا بعض المتسائلين والمناقشين لأن يقول : لماذا فشل المصلحون ؟ وأنا لا أرى شيئا من هذا الوهم الذى يدفع اليه اليأس لأن المصلحين قد قاموا بدورهم على أكمل وجه ، ولأن المجاهدين العلماء والزعماء قد قاموا بدورهم فى ايقاظ النفوس ودفع الهمم واخراج الناس مما كانوا عليه ، فاذا الامة الاسلامية فى كل الاقطار ، فى المشارق والمغارب تملن الحرب الضروس وثورة حمراء على الأعداء ، وبذلك استقلت معظم البلاد الاسلامية ، ولولا أن المصلحين قد قالوا قولتهم ، ووجهوا بشئ من النور تلك العزائم القوية لما وجدت من أرض الاسلام اليوم رقعة مستقلة متحررة ، فهذا الاستقلال اذن هو برهان لما كان للمصلحين من ذوق فى تحقيق المراحل الاستقلالية ، وفى تحقيق الخلاص للتبعية الاجنبية .

لكن هذا الوضع ليس هو الغاية فى حد ذاته ، فان التخلص من



والى أسبابها ، والى طاقاتها ، والى ما تجمع من قوة تشهد بفضل تلك الحضارة على غيرها ، خصوصا وقد كانت هى السبب فى تقدم أوروبا وغيرها .

لكننا حين نميل الى الرأى الاول تكون قد أسأنا التصور ، وحين نميل الى الرأى الثانى نكون قد غاليينا فى التعلق بأشباح ماضية لا سبيل لتحقيقها اليوم على الوجه الذى كانت عليه ، لأن التعلق بالاسباب الموجودة فى الغرب ، يكون تملقا بالناحية المادية الصرفية التى لا وجود فيها للطاقة الروحية ، والتعلق بالاسباب القديمة الحضارية الموجودة فى العالم الإسلامى هو تعلق أيضا لا يفيد اذا كان على المقاييس القديمة فحسب ، والذى لا ينظر الى التطورات الحديثة فى هذا العصر الجديد ، الذى يملؤنا فى كل يوم بطاقات جديدة متولدة عن هذه الصناعات والمخترعات .

ومثل هذه الاوضاع يدعوننا بغير شك لنتوقف متأملين فى وضعنا الجديد ، والاسباب التى نأخذ بها لمرتنا وتحقيق مستقبلنا السعيد ولا يظن واحد منا ان الاسلام لن يجد غدا أفضل ، أو ان المسلمين لن يستعيدوا مجدهم وحضارتهم ، فان كل قائل لذلك يكون مخطئا مخطئا فى عقيدته ، وبالتالى مخطئا فى سلوكه ، لأن الخطأ فى العقيدة يتفرع عنه الخطأ فى السلوك ، واذا ما كان السلوك خاطئا لم يتحقق شيء ، مما نأمل ونتمناه للمجتمعات الاسلامية .

وهنا لابد أن نعود الى السيد جمال الدين الافغانى ، صاحب الدكتور عثمان أمين الذى خدثنا عنه طويلا ، وذهب بين الجوانية والبرائية ، يصف المجالات التى شغل نفسه بها ، والطاقات الإصلاحية التى بذلها لهذا المجتمع الإسلامى ، وأرى لزاما من أجل انارة الحق ، والكشف عن الطاقات الاسلامية أن أذكر بقصتين لجمال الدين الافغانى يعيطان اللثام عن حقيقة الإصلاح فى نظره ، ويكشفان عن المسدود الموجود فى الدين الإسلامى ، من أجل تجديد هذه المجتمعات ، والخروج بها مما هى فيه ، فالسيد جمال الدين لافغانى لم يكن بالرجل الذى يرضى النسب ، ويتلهم عن الحسب ، لم يكن بالرجل الذى يرضى أن يفاخر بما كان لاسلافه من غير أن يعمل هو ، والمسلمون من حوله من أجل تحقيق أشياء جديدة تكفل لهم العزة والمنعة ، والذى يدل



لتحقيق العزة القومية ، والذي يملأ نفوسنا إيقانا بأن العزة القومية راجعة لابد والسيادة الإسلامية متحققة وأن بعد قرن ، ما دلت عليه طبيعة الاسلام والمسلمين من قوى لا نجدها في غيرها من الامم ، فقد جاء في بعض هذه المحاضرات ان الحضارة الإسلامية لعبت دورها وانتهت ، واذا كانت لعبت دورها وانتهت فاننا لسنا في حاجة لان نترقبها من جديد لنأتي بدورها الثاني أو تقوم بعمل آخر ، لانها ككل الحضارات القديمة قامت بدورها ، وأصبحت حلقة من حلقات الحضارة الانسانية ، فكما مرت الحضارة اليونانية تتبعها الحضارة الرومانية تتبعها الحضارة الفارسية ، تتبعها الحضارة العربية ، تتبعها الحضارة الاوربية، فإن المستقبل لحضارات أخرى ولا يمكن أن يكون للحضارة الإسلامية ؛ لان الحضارة الإسلامية أدت واجبها ، وقامت برسالتها وانتهى الامر .

الجواب عن هذا الرأي الذي يقول بأن الحضارة الإسلامية انتهت دورها ليس رأياً آفلاً ، ولا هو بالضعيف في الواقع ، لكنه يسند الى شيء عادي ، يمكن أن نلمسه في كل الحضارات ، ولا يعتمد في شيء النقطة القوية ، والطاقة الفياضة الموجودة في الدين الاسلامي ، وفي الجماعة الإسلامية ، اذا كانت الحضارة راجعة ومتسوبة الى الامم التي قامت بها وحققتها ، قد مرت كما تمر الحلقات ، وكما تمر الاسمر والافراد يمرحل ، هي المراحل الاربعة التي أدرانا بها الدكتور علي عبد الواحد وافي ، هذه للمراحل التي أشار اليها ولي الدين عبيد الرحمن بن خلدون في مقدمته ، وهي المراحل الاجتماعية ، الطبيعية التي لابد أن تتوفر وأن تتحقق بالنسبة لكل أسرة ، وبالنسبة لكل فرد ، وهي مرحلة الشباب ، مرحلة الفتوة أو مرحلة الولادة ، ثم مرحلة الشباب ، ثم مرحلة الكهولة ، ثم مرحلة الفنى أو الشيخوخة اذا كان كل فرد يمر في المرة الاولى بمرحلة الطفولة فيكون دارجاً ويكون متمسكاً ويكون محاولاً ، ولكن ليست له قوة الشباب ، ولا أصالة الكهول ، ولا حكمة الشيخوخة فانه في هذه المرحلة يكون محاولاً ، يكون محاكياً ، وبمحاكاته وبمحاولاته تتكون شخصيته وينتقل من طور الطفولة الى طور الشباب ، فيضاف اليه عنصر جديد وعنصر الحماس وعنصر الشجاعة والقوة ، لكنه بعد مرحلة الشباب ينتقل الى مرحلة الكهولة ، التي يتم فيها عقله ، وتكمل له بها مداركه واذا مر بهـ





صل الله عليه وسلم ، قد أعطانا طاقات أخرى لا توجد في حياة الاسر  
 ولا الافراد ، وانما توجد مقترنة بالمقيدة صلفية ، مقترنة بالايان ،  
 مقترنة بالروح الديني ، واذا كان الروح الديني باقيا ، واذا كانت  
 المقيدة صافية ، واذا كان الايمان قويا ، فان هذا الايمان وتلك المقيدة  
 يستطيعان مالا تستطيع الاسر في اعمارها ، ولا الافراد في احوالها  
 الاجتماعية التي تمر بها ، والذي يدل على ذلك أن النبي (ص) بشرنا  
 بأن الله يبعث على رأس كل قرن أو كل مائة عام من يجدد أمر هذا  
 الدين ، وهؤلاء المجددون المصلحون هم الذين يعيدون الى الدين  
 والى الامة الاسلامية شبابها ، فاذا رفع الكابوس الاستعماري ، فانا  
 من حقنا ومن حق العلماء والمسلمين أن يستعيدوا شباب الاسلام مما  
 يوفرونه من طاقات تمكنهم من استرجاع السيادة الحقبة ، والعزة  
 والمنة التي وعدنا الله المؤمنين ، ويدلنا على هذا في الماضي اللغة  
 التي كانت من بعض المستشرقين الفرنسيين (روني قروسي) في كتابه  
 «تاريخ آسياء» إذ قال: ان هجمة هولاء على بغداد كانت قاضية على  
 الخلافة العباسية ومبيدة للروح الاسلامي في جميع الاقطار التي كانت  
 تابعة لتلك الخلافة ، وان الامة الاسلامية في مختلف اقطارها ، وان في  
 مصر حيث قامت الخلافة الجديدة التي حاولها رجال المماليك ودعوا  
 من أجلها آخر ملوك العباسيين أو خلفائهم ، الى أثر منطقي شرعي في  
 الولاية والحكم ، فاذا هم بعد ذلك يريدون تجديد الخلافة العباسية  
 في البلاد المصرية ، وظهر كثير من العلماء وتشجعوا للقيام بأدوارهم  
 على أكمل وجه ، لكن الوضع في البلاد المصرية ، والوضع في بلاد  
 الشرق كلها ، في العراق ، وفي الشام ، لم يكن يسمح أبدا بتجديد  
 تلك الروح ، وتكوين تلك دولة الجديدة التي تستطيع أن تعيد  
 للاسلام شبابها ، فكانت هذه الاحوال تحتاج الى قوة ، والى فتوة ، والى  
 شجاعة ، والى ايمان وحماس ، وكان من أجل تحقيق كل ذلك نشأة  
 الخلافة العثمانية في البلاد التركية التي استطاعت أن تعيد للاسلام  
 بهجته وان تقوم بغزو البلاد الأوروبية وفتح الاستانة ، وتكوين الدولة  
 الاسلامية ، والامبراطورية العظيمة التي امتد سلطانها الى كثير من  
 البلاد العربية ، ثم هي أيضا انتابها ما انتاب العالم الاسلامي ، وما  
 انتاب الدول الاسلامية ، لانها مرت بتلك المراحل ، ثم انتهى دورها  
 وربما انقلبت الى الضد فكانت معلول تحطيم ، بعد أن كانت معلول بناء.



ومحاضراتكم ، ودراساتكم التي تقرأونها كل يوم ، فإذا كانت هذه  
الأوضاع تجعلنا مؤمنين بأن الأمة الإسلامية لم تنته ، والحضارة  
الإسلامية سوف تعود ، لا باعتبار ذلك أملا ولا باعتباره أمنية من  
أمانينا العذاب ، ولكن باعتباره حقا وشرعا واننا نستطيع ان نحقق  
ذلك ، ونحن مسؤولون عن تحقيقه ، اذا كان ذلك إيمانا يملأ قلوبنا  
وكان ذلك عقيدة تنير سبيلنا ، فنحن قادرين لا محالة على بث الاسلام  
الجديد في عهد الجديد كما نريد ، ممدا للعالم الانساني والحضارى  
الجديد بالطاقات التي يفقدها اليوم ، وهى طاقات الروح الاسلامى ،  
ولذلك فانا لا أرى فى هذا الوضع الذى يعيشه العالم الاسلامى ، والذى  
نواجه به المشاكل المختلفة داعيا للحيرة ، ولا موجبا لليأس ، لان  
الإصلاح والبحث عن وسائل الحلول كفيلا ينحقق هذه الحياة  
الجديدة التى نعمل من أجلها ، تبذل قصارى الجهد لتحقيقها ، فإذا  
حاولنا بعد ذلك أن نلتفت الى سبيلنا فى تكوين هذا الغد الجديد ،  
وبعث تلك الامجاد القومية على النحو الذى تكون به متلائمة مع الحضارة  
العصرية والوضع الراهن فى المجتمعات الغربية ، فانى لا ادعو بأن  
نأخذ بأسباب الغرب فحسب ، وان كانت هذه الدعوة لاسبيل للاعتماد  
عنها فيما يعود الى الطاقات التى نحتاجها من حضارة الغرب ، ولا ادعو  
الى التمسك بالتقديم تمسكا نموت عليه ، ويكون قوامنا فقط فيما يعود  
الى الطاقات القديمة التى تصبح ماضية لركب حضارة اليوم ، ولكنى  
أقول ينبغى أن نأخذ بالاسباب الحضارية الجديدة واسباب التقدم العلمى  
والتقنى ، والعمرانى ، وما الى ذلك ، وينبغى أن نضيف اليه سببا  
آخر هذا السبب الآخر هو الذى لا نعيش به حاضرا متحولين عن  
ماضينا ، ولا نعيش به التقدم التقنى متحولين عن عقيدتنا ، هذا الذى  
ادعو اليه هو الرجوع الى الروح الدينى الاسلامى الذى كان الطاقة التى  
تمد النفوس باكسيرها فى المصور الماضية وهى الطاقة الباقية التى  
تستطيع أن تمد النفوس باكسيرها فى حياتنا الجديدة ، فإذا ما  
تحولنا الى هذا الروح الدينى نبهته ، يكون علينا لزاما أن نتصور  
الروح الدينى قبل كل شئ وعيا ، وادراكا للحقيقة الإسلامية فى  
جوهرها الكامل ، الذى لا يمكن أن تنخره قاذحة ، وينبغى أن نتصور  
الروح الدينى تكوينا فكريا خاصا تتميز به الجماعة الإسلامية عن  
غيرها من الجماعات ، كما تميز الصحابة رضوان الله عليهم فى عهد



نحن مسؤولون على تبليغها ، وهذا التبليغ يحتاج مع الحماس له الى خلق سبل جديدة للدعوة ، الى خلق سبل جديدة لتطهير النفوس الى خلق أمثلة قوية رائعة تستطيع أن تميد للمسلمين عزتهم ، فيتأسى بذلك غير المسلمين ويتبعون الحق الذي يجدون عليه الدلائل من الدين .

وعقيدتي أن هذا الروح الديني ، وتلك الطاقات الموجودة به ، لا تؤثر فقط على الفرد أو على الأسرة ، بل هو متنقل ومتعدد بتعدد الأفراد ، من الأسرة الى الجماعة والحي ، ومن الحي الى الشعب أو الوطن ، ومن الشعب والوطن الى الأمة والملة ، ومن الأمة والملة الى الإنسانية جمعاء ، وهذا الروح الديني وهذه الطاقة الخلاقة ، وهذه القوة المحيية التي توجد في الدين الاسلامي ، هي التي نبه عليها الشارع ولفق القرآن اليها الانظار حين قال : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله» .

فالدعاة الاولى اذن هي الامر بالمعروف ، أمر بالمعروف لا يعرف في الحق هواة ، أمر بالمعروف ينشر الاسلام والسلام ، أمر بالمعروف ينبيه النيام ، ويوقظ الناس من سباتهم ، ويحملهم على الخيرات ، ونهى عن المنكر يحال بين الناس وبين الشر ، يحال به بين المسلم والألوان الطغيان والافك ، يحال به بين المسلم والآثام ، التي لا يكون شرها مقصورا على من يأتي الشر ، ولكن شرها يكون مستطيرا لانه يتجاوز ذلك الفرد الى الجماعة .

واذا كانت الدعاة الاولى أمر بالمعروف ، والدعاة الثانية نهى عن المنكر ، فإن الدعاة الثالثة التي تكون كقطب الميزان بين الكفتين ، انما هي الايمان بالله وحده لا شريك له ، لان في الايمان بالله ما يتكفل بالمضي في خدمة الاسلام ، وتحقيق هذين الامرين الجليلين ، اللذين دعا اليهم الاسلام ، وهما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإذا كان هذا هو روح الدين ، وتلك هي الطاقات فيه ، وكانت هذه هي الدعائم التي تقوم عليها الشريعة الاسلامية ، فلا بد علينا من أن نعود الى مصادر هذا الروح الديني ، أين نطلبها ؟ وفيما نجدها ؟ وكيف السبيل اليها ؟

مصادر الروح الديني معروفة واضحة ، هي قبل كل شيء القرآن



عشرات المرات في صلواتنا وفي وقوفنا بين يدي ربنا \* هذه السبع  
 المثاني، هذه الآيات التي هي آيات سورة الفاتحة ، هي آيات لو أدركنا  
 مفزاها ، وتصورتنا على الحقيقة معناها ، لتبيننا أنا تكذب على أنفسنا  
 كل يوم بقدر ما نقرأ الفاتحة ، نكذب على أنفسنا كل يوم وفي كل  
 تلاوة بأن لا نعيد الا اياه ، وان لا نستعين الا به ، وقد نظر الى هذه  
 الآيات البينات كثير من المفسرين، ومن بينهم ابن قيم الجوزية فقال :  
 ان الآيات تشتمل على عناصر رائعة للايمان ، وطاقات قوية في الاسلام  
 مردها ثمانية :

**أولا :** حمد الله حمدا خالصا لا يمكن ان يلحق فيه به غيره، فالحمد  
 بهذه الاداة ، الحمد لله ، يجعل ذلك التعبير خالصا لله بحيث يمدح  
 الناس ولا يحمدون ، ويشكر الناس ولا يحمدون ، والحمد لله على  
 آلائه الظاهرة والباطنة ، فهو الذي خلق النفس وبرعها ، وهو الذي  
 يدفع عنها الاخطار فيما تشعر به وما لا تشعر به في انا، الليل واطراف  
 النهار ، فالخالق الباري المصور يحتاج منا الحمد ، ويحتاج منا  
 بالنالى الى الاعتراف به والايقان بوحدةانيته ، والاخلاص في عبادته ،  
 ثم الايمان والايقان باليوم الآخر لكونه ملك يوم الدين ، فهذه العناصر  
 لا بد منها وهي ضرورية في عقيدة المؤمن ، ثم نجد التعبير الرائع  
 الاسلامي العربي الذي يجعل العبادة صورة على ذات الله تعالى ،  
 والاستعانة مقصورة عليه فيقول (اياك نعبد) نخصك بالعبادة ، (واياك  
 نستعين) نخصك بالاستعانة ، فنحن لا نعبد غيرك أبدا ، ولا نستعين  
 بأحد سواك ، وقد يكون هذا مذلا باللسان ، وتشدقا بالقول ، فيما  
 نأتيه كل يوم لكوننا في الواقع نشرك بعبادته اذا ملنا عن الدين ،  
 ونستعين بغيره اذا كنا لا نتمسك بحقيقة اليقين ، وما ذلك الا الفتنة  
 التي نجد أنفسنا فيها ، فتنة الحياة الدنيا، لاننا حين خرجنا من العدم  
 الى الوجود، ونزلنا هذا المجتمع أو هذا المحيط الانساني ، وهذه الافلاك  
 السابحة في الاجرام المختلفة ، أو مع الاجرام المختلفة في جو السماء  
 بين يدي الله وفي قبضته، نزلنا وهبطت الروح، كما قال ابن سينا :

**هبطت اليك من المحل الرفع \* ورفاء ذات تعزؤ وتمنع**

هبطت هذه الروح لتكون في هذه الدنيا في دار ابتلاء في دار  
 امتحان ، ولذلك أشفق بعض الناس منها وأحبها آخرون ، فإذا





منهم ليحققوا لهم السعادة الابدية ، وبهذا لا يكونون قد أفرطوا كما افرط اليهود ، وافرط النصارى ، وافرط الملاحدة ، لان هؤلاء الهتهم دنياهم عن آخراهم ، وذهب منهم الروح الدينى ، وأصبحوا اليوم يشكون اليأس والقلق والاضطراب ، وهم مع تقدمهم فى العلوم الآلية والتقنية يكثر فيهم الضلال ، وتكثر فيهم الفتنة ويشسوا من روح الله ومن الحقائق الحقائق الوجودية الكامنة فى الطاقات التى خلقها الله ، فاذا بالكثير منهم يقتل نفسه وينتحر ، لا يريد أن يتشجع لحل الاعباء فى هذه الحياة الدنيا ، ثم هو بعد ذلك لا يقوم بالرسالة الفاضلة التى قام بها المسلمون من قبل ، واذا كنا لا نريد أن نكون مفرطين كما فعل النصارى واليهود والملاحدة والممثلة فكذلك لا نريد أن نكون مفرطين ، كما كنا الامن بالنسبة لاسلافنا المباشرين لاسلافنا القريبين ، لاسلافنا الذين ذهلوا عن واجباتهم وقضوا ردها طويلا فى سباتهم ، وتحملوا الاهانة والمهانة والذل والاستعباد، ورثوا بالحياة الدلية ، حياة الحرمان خفوا من مقارعة الاعداء ومجابهة الاقوياء والانتصار عليهم بكلمة الحق التى هى كلمة الله .

واذا كنا لا نريد أن نكون مضطرين فان سبيلنا فى ذلك قول رسول الله (ص) : **«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»** ، فاذا التفتنا الى الدنيا وحققنا ما يمكن أن يطمئن لنا الحياة الكريمة والتفتنا الى الآخرة فضمننا ما يكفل لنا الحياة الأبدية السعيدة ، فاننا نستطيع أن نقول بعد ذلك مستعينين على هذا لتحقيق السلوك الناجح **الصراط المستقيم** فبعد البذل والجهد ، والاتجاه الرشيد فى حياتنا ، نلتفت الى الله جل وعلا ونطلب منه الهداية أن يهدينا الصراط المستقيم ، وقد فسر كثير من العلماء الصراط المستقيم ، صراط محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم قال تعالى : **الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** وبذلك فاننا نكون قد اعتدنا ، واتبعنا سنن الرضاد وتحولنا عما كان عليه المجرمون الضالمون لانفسهم ، والباغون فى حياتهم .

تلك هى الحقائق الاسلامية التى يمثلها الروح الدينى ، وهذه هى مصادرها ، فهى الكتاب والسنة ، وعمل الرسول وصراطه وسبل المصلحين ، أما تطبيق ذلك على السلوك ومحاولة تحقيق



ايضا عن ابي هريرة رضى الله عنه : «ان اقرب ما يكون العبد من ربه تعالى ان يكون ساجدا» فهذه الحال من القربى ، هذه الحال من القرب من الدنو من الله ، تجعله شاعرا بطمأنينة وبراحة ، وبقوة تمكنه من التهام بواجباته على اكمل وجه ، مع بعده عن كل الشرور التى يمكن ان تعيد به عن الطريق السوى ثم نجد فى الصلاة مناجاة وذكرى ، وهله المناجات التى هى احب شئ الى العبد حين يكون مع ربه ، لا يمكن ان تتحقق اذا كان فى هذه الحركة بصورة آلية لا يفقه لها معنى ولا يراقب فيها نفسه ، لأن المصلى حين يتناجى ربه ويخاطبه ، لا يمكن ان يكون لكلامه اثر فى نفسه ، اذا كان هذا الكلام صادرا عنه آليا مع الغفلة عن حقيقته وعدم الادراك لفحواه ، هذه صورة اوردناها فى عبادة وركن من اركان الاسلام ، وهى التى تكملها وتصورها الآية القرآنية الكريمة حين تقول : «ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر» ومثل هذا يلاحظ فى غير هذا الركن من اركان الاسلام ، فى الزكاة ، وفى الصيام ، وفى الحج ، وما أستطيع ابدا ان أحدثكم عن كل ذلك وقد ضاق الوقت ، ولكن أنتقل توا الى عنصر آخر ، اعتبره ضرورى فى هذه الحلقة ، لانه لا يتصل بالاعمال الصالحات ، ولكنه يتعلق بالاعمال الاخرى التى يدفع اليها الانسان بطبيعته ، وينبغى ان يكون من نفسه رقيقا عند اتيانها ، وذلك هو المضار والعيوب التى قد يتصلقها البشر ، فى سلوكهم الفردى وسلوكهم الاجتماعى وما بينهم وبين الله ، وما بينهم وبين الناس ، فاذا فكر المؤمن ورأى انه سيقع لا محالة فى الخطيئة او وقع بالفعل فى الخطيئة ، فان عليه ان يعمد الى سبل اخرى ، تكون بها يقضه الروح الدينى ، ويكون بها الخلاص مما وقع فيه ، وذلك فى الرياضة النفسية والتهديب للاخلاق ، والمعالجة لأمراض القلوب ، معالجة أمراض القلوب لان الشارح امرنا بذلك ، امرنا بتزكية نفوسنا ، فقد قال تعالى : «قد افلح من زكاهها وقد خاب من دساها» ، والنسبى (ص) امرنا بان نأخذ بالسبيل الارشد فى سلوكنا الاجتماعى ، وفى سلوكنا الفردى ، ولذلك قال (ص) : «الا ان احبكم الى واقربكم منى مجالس يوم القيامة الموطؤون اكنافا ، احسنكم اخلاقا ، الذين يالفون ويؤلفون ، وان انفضكم الى وابعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون» ، ثم نجد ان النبى (ص)



أما المراقبة فهي التي أوصانا بها جبريل على لسان الملك الحق، ثم أمرنا بها نبينا (ص) حين قال في تفسير الاحسان : «إن تعبد الله كأنك تراه ، وإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، فلنجعل الله مراقبا لأعمالنا ولنجعل الايمان قائما على نفوسنا يهديها سبل الرشاد ، ولكن فيما تأتي ونذر مراقبين لحق الله ، في تصرفاتنا ، وفيما نقوم به من أعمال لانفسنا في كل ذرة من ذرات وجودنا ، وفي كل شيء من أشياء هذا الوجود ، ثم هناك المحاسبة وهي أن نعود الى انفسنا باللوم والتقريع والرجوع الى الحق والتوبة والانابة ، ثم التمسك بحبل الله المتين وما ذلك الا لان هذا القلب الذي يحركنا الى الخيرات حيناً ، ويدفعنا الى الشرور أحياناً ، الذي يميل بنا الى الطهر والصدق والخير مرة ، ويتوجه بنا ويلج علينا في أن نرتكب الشرور مرات كثيرة ، لكون الشرور من انفسنا ولكونها شهوات ، ولكون النار حفت بالشهوات ولكون الخير من الله ، ولكونه - أي الخير - حف بالمكاره ، ولكون الجنة حفت بالمكاره ولذلك فإن تطهير النفوس ، يكون بمراقبة النفس وتطهير القلب ، الذي اذا صلح ، صلح الجسد كله ، واذا فسد فسد الجسد كله ، هذا القلب الذي هو في طريقنا الى الله مركبه البدن ، وزاده العلم ، فما يزيدنا ذلك الا بوجوب مراقبة جوارحنا وتحكيم علمنا أو معرفتنا بالله ، وهذه الاشياء التي اعتبرها ضرورية ، اذا لا يمكن أن تتحقق ولا أن تثمر في نفوسنا ، وإن توجهنا سبيل الرشاد الا اذا عاد المسلمون ، وهو والحمد لله أمر واقع ملموس في مجتمعاتنا هذا ، وفي كل المجتمعات الاسلامية اليوم ، اذا عاد المسلمون في مشارق الارض ومفاربها بعد الولايات التي نزلت بهم ، والهزات التي اذلت نفوسهم ، والنورات الجامحة التي اخرجتهم مما كانوا فيه الى ما صاروا اليه ، ينبغي أن تكون شاعرين بالوضع الخطير الذي نحن عليه ولا يكفي هذا الشعور ، بل ينبغي أن نتساءل عن السبيل الموصل الى تحقيق الغد الافضل وما تلك السبيل في اعتقادنا الا سبيل مراقبة السلوك الفردي والاجتماعي ، مراقبة تجعلنا نعيش ديننا وديننا ، ولا نعيش ديننا معرضين عن ديننا ، أو ديننا في الصوامع وفي المساجد معرضين عن ديننا ، لكوننا نريد أن نجتمع بين الدين والدنيا »

والذي هو قادر على بذل هذه الحقيقة في النفوس وتنميتها في الشباب الصاعد في الجماهير الغفيرة ، انما هي الدعوة الى الاسلام



ابتدأت رسالتها في القرن الثاني الإسلامي ، والتي استمرت مضطلة  
بهذه الرسالة فترة بعد فترة ، وطورا بعد طور ، ومرحلة بعد مرحلة ،  
حتى اذا قيل أنها انتهت من القيام بدورها ، وأفل نجمها ، عبادت  
مشرقة كما كانت بالامس ، تؤكد تلك الحقيقة وتضطلع بالرسالة  
الثقيلة التي حملها المسلمون الصالحون من قبل .

وهذا التعليم الاصلى فى كل قطر ، وفى هذه البلاد المباركة ، فى  
هذه البلاد التى ثارت على الظلم ، وثارت على المكر ، وثارت على الشر  
وشقت سبيل الخير فى هذه البلاد الجزائرية الشقيقة التى هى منا  
ونحن منها ، والتى لا تكون فيها الا خادمين لرسالة الاسلام ،  
ومؤيدين لدعوة الحق التى صدرت من اخينا معالى الوزير فى خطابه  
الافتتاحى لهذا الملتقى ، الذى دعا فيه الى الانية والاصالة للتعليم  
الاسلامى وللشخصية الاسلامية ، فى هذه البلاد الجزائرية ، واذا  
كان أبناء عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، وتلاميذ المرحوم البشير  
الابراهيمى رضى الله عنه ، قد تحملوا هذه الرسالة ، وتلقوا هذا  
المشعل ، وتخرجوا من الزيتونة ومن غيرها من الاقطار ومن الجامعات  
الاسلامية ، وتقبلوا فى البلاد الاوروبية ، يتطلعون الى الخير والى  
الطاقات الجديدة ، التى يمكن أن تشد أزر المسلمين ، وأن تسد  
خطاهم فنجد بعد ذلك تفتحنا الى التعليم الاصلى الجديد ، الذى هو  
أصلى بالاعتبار الذى شرحناه ، والذى يفسره ما قلناه فى محاضرتنا  
السالفة ، عن حقيقة الثقافة الاسلامية المشتركة التى تجمع بين خيرى  
الدنيا والآخرة ، فاذا وجد هذا التعليم ، وزكت مناهله ، وعذبت موارده  
واستطاع الناس بعد ذلك أن يقرأوا منه ، فان الروح الدينى لا محالة  
بعد ذلك يفيء وان المصادر الاسلامية لهذا الروح الدينى لا محالة  
ستكون بين أيدي الناس يتفهمونها ويستمدون منها ، ويستعينون بها  
على قضايا الساعة ، وان فى مراقبتنا لانفسنا ، ومراقبة المسؤولين  
للامانة الملقاة على أعناقهم ، ومراقبة كل فرد منا لحق الله فى ذاته  
وفى المجتمع من حوله ما يكفل لنا العزة القومية ، ويعيد لنا السيادة  
السياسية ، ويتكفل بتحقيق الحضارة الاسلامية الجديدة ، التى  
سيكون أبناء الجيل الصاعد هم الذين يحملون مشعلها ، وهم الذين  
يحققونها فى هذا المجتمع الانسانى الكبير .

والسلام عليكم ورحمة الله .